

سلاسل

+18



مالك محمد حسين

رواية

سادي

للكاتب:

مالك محمد حسين

2023

الإهداء:

إهداء! ... هل هذا ضروري؟!
أنا... أنا لا أملك من أهديه روايتي.. ولا حتى أي شيء آخر..
أنا هنا تتمكنني الوحدة و العزلة عن العالم
أظن أن هذا ما يجعلني قادر على الكتابة.. يجعلني أحتفظ برأسي ملكاً لي في النهاية

حسناً... أظن أنني سأهديها لنفسي.. لقدرتي على الصمود و الإتزان بعد كل هذا

الفصل الأول

قطرات العرق و الدموع الساخنة مختلطة بدمائه ترحف ببطء على بشرته، رائحة عطر أنثوي طاغي يدثر رائحة الدم الذي يسيل ، صوت بكاء ذكوري مكتوم يهتز عند كلما طرقت تلك الأنثى الساخنة بالنصل على خشب المنضدة ، حركة قدم رتيبة كل ثوان لتلك التي تواريه ظهرها العاري ممسكة بسكينة لحم كبيرة، إنعكاس الضوء الأصفر لللمبة المتهالكة المدلاه من سقف الغرفة على شعرها الأحمر جعله ذو لمعة نبيذية تضيف وقعاً كثيراً.. أو مرعباً! طرقت الفتاة بالنصل على خشب المنضدة مرة أخرى بغل جعل الرجل ينتفض هلعاً و يقاتل قيده الذي ربطه بالمقعد خلفها ، رفعت يدها بالسكين مرة أخرى و إستدارت ، تنظر إليه بإبتسامة مثيرة.. تكاد تقسم أنها منتشية و في ذروة إثارتها قبل أن تطعن المنضدة تاركة السكين على خشبها و تنهض تجاه الرجل الذي يتلوى رعباً و هو يجاهد في قول شيئاً تلغمت حروفه في محاولة الخروج عبر ما يلثم فمه، الإضاءة السيئة و شعرها المبعثر على وجهها نجحوا في إخفاء ملامحها إلا أنهم لم ينجحوا في تشتيت جمالها الذي أعلن عن نفسه بغرور في منتصف تلك اللوحة الدامية ، نصف أبتسامة خرجت من شفتيها الحمراوتين جعلته ينتفض و يصرخ كمن لدغه عقرب.. بإيقاع هادي تحركت في كعبها العالي الذي عرفت طرقاته على الأرض لحناً كاد أن يكون مثيراً في ظروف أخرى ، لكنه للأسف جعل الرجل يصرخ مستنجداً كمن وجد نفسه وجبة في وعاء أسد، تحركت فتحركت عينيه معها حتى إختفت عنها لتستدير و تقف خلفه.. أمسكت شعره الطويل المبعثر بيسراها جاذبة رأسه للخلف بعنه جعله يئن.. ثم بيمنها سحبت النصل بهدوء على رقبته لينسل خيط أحمر رقيق ما لبث أن تحول لشلال دموى غطى صدره فالأرض.. طرقت بكعبها العالي حتى وصلت للمنضدة ، وضعت عليها السكين بهدوء ثم جلست على كرسي مقابل له و عبثت بهاتفها قليلاً لتتبعث منه أغنية cool hearted Women للمغني Chis Bell ، و على نغمات الجاز خلعت حذاءها و نهضت تتمايل و تخطو خطوات إيقاعية ، ترقص بخفة و هدوء كمن قضت لئوها ليلة رومانسية في أحد الفنادق، إقتربت بوجهها الغريب من وجه الجثة.. و إبتسمت بمتعة و إنتشاء.. تنفست رائحة الدم في غنج و مزاج صاف جداً ، ثم تمشت بضع خطوات راقصة إلى منتصف الغرفة .. و مدت يدها ببطء لتمسك بشعرها..و تخلعه!.. خلعت الشعر المستعار و ظلت تتراقص و هي تلقي به على المنضدة، ثم بيدها تخلع الفستان ببطء و تلقي به على المقعد ، تتراقص و تتراقص حتى تقف تحت دائرة ضوء المصباح لتظهر كاملة واضحة.. تلك الجميلة ذات الفستان و الشعر الأحمر و الكعب العالي ما هي إلا رجل! رجل متنكر فيهيئة أنثى مثيرة لن تقوى على رفضها.. ساعده على إتقان الدور جمال ملامحه و ذقنه الحليق تماما و الكثير من مساحيق التجميل.... إنتهت الأغنية و عادت سماعة الهاتف تنبض بها مرة أخرى بهدوء، بدأ الرجل يتحرك بإيقاع أسرع، إلتقط حقيبة ظهر من الأرض و أخرج منها قفازان و محقن و أمبول فارغ و آخر به سائل ما، و عبوة تحوى مسحوق كيميائي أبيض متكتل .. أمسك بالمحقن و سحب نصف سنتيمتر من دم الجثة ليفرغه بداخل الأمبول الفارغ و يعيد كل شئ في الحقيبة عدا العبوة، إلتقط جردلاً حديدياً و أفرغ العبوة على الأرض و الدم الذي بدأ يقل إتساعه تدريجياً ، تسرب لأنفه رائحة خافتة عكرت صفاء رائحة الدماء المعدنية ، دقائق و هو يتراقص بإيقاع أسرع حتى بدأ الدم يبقيق ، فقاعات غاز تنفجر منه بسبب تفاعل ما.. إرتدى قفازاته و أزاح الجثة في ركن الغرفة و أخذ يمسح و ينظف الدماء ، ساعة و نصف قبل أن يقف في منتصف الغرفة لاهئاً و قد تبدلت معالم ما حدث .. كل شئ في مكانه بشكل عشوائي مرتب .. عدا تلك الحقائب البلاستيكية في الركن، خرج للصالة و غاب ليضع دقائق قبل أن يعود في حلة أنيقة و قد أزال المساحيق.. نظر في المرأة المعطوبة على الحائط ، لكن ذلك الشرخ و سوء جودة الإضاءة بددوا ملامحه، رغم ذلك إرتسمت إبتسامة على وجهه و تقدم ليرفع الحقائب على ظهره.. و يخرج من الباب بهدوء

كافيه توباكو، أحد أرقى كافيهات حي مدينة نصر.. عملائه الدائمين هم صفوة الشباب.. يتميز توباكو بأنه على الطراز القديم.. ليس في الديكورات و الذوق العام.. لكنه بلا تكنولوجيا.. فهو لا يعتمد أي مظهر من مظاهر التكنولوجيا للكافيهات ..

ديكواراته راقية و ذوقه رفيع .. الوانه مبهجة و لا يجوز الحديث عن نظافة كل (سم) منه ... لا يوجد به شاشات عرض للمباريات الهامة.. لا يوجد به ماكينات تصنع القهوة و المشروبات.. لا يوجد به كاميرات مراقبة.. لا يوجد به نظام صوتي متطور.. لا يوجد به غير المقاعد و الطاولات الجميلة و الديكورات الرائعة .. حتى كل المشروبات التي تقدم فيه تصنع يدوياً، تستطيع ان تقول انه مصمم لاجبار رواده على التواصل البشري الحقيقي... لكنه مع ذلك لا يمنع زائريه من استخدام ممتلكاتهم التكنولوجية.. فترى ذلك الشاب الأنيق يتحدث في هاتفه بصوت منخفض و هو يبتسم ، و هذان المتحابان يتشاركون سماعة أذن واحدة تنبعث منها أغنية ركيكة لمطرب يظن أن صوته عذب.. و يمكنك أن ترى أيضاً من يستخدمون حواسيبهم المحمولة .. كتلك الـ.. لا.. ليست تلك الفتاة.. فإنها مختلفة تماماً عن كل من يدخل توباكو.. إنها (فودكا)، أحد أهم رواد توباكو

تقدم النادل إليها ليسألها عن طلبها.. نظرت له دون أن تحرك رأسها قالت بشكل مسرحي:

- أممم ..تفتكر هطلب إيه يا خالد؟

كاد أن يجيب خالد لكنها ضربت بيدها على الطاولة و قالت:

- بابونج يا خلودة.. اول ما تشوفني كدة داخله من باب الكافيه تجري عملي البابونج بتاعي.... بعد البابونج نبقى نتكلم في هشراب ايه تاني.

قال مبتسماً:

- تحت أمرك يا فندم، بابونج فتلة دابل من غير سكر.. حالاً.

هم مسرعاً بالمغادرة لكنها إستوقفته قائلة:

- بقولك إيه هادي مجاش؟

- للأسف بقاله كام يوم مبيجيش في الشيفت بتاعي.. مش عارف ببيجي بقى في الشيفت الثاني ولا لا..

شخص بصر "فودكا" لثانية، ليعالجها "خالد" قائلاً:

- بس هسال حد من الشيفتات الثانية عليهو أبلغ حضرتك.

- لأ متشغلش بالك إنت .

في توباكو تستطيع سماع الناس من حولك دائماً يتحدثون ، يهمسون و يضحكون، كما تستطيع سماع صوت ملاعقهم تطرق الأطباق، أكوابهم تصدم خشب الطاولة. و هواتفهم تسقط على خشب الأرضيات.. ضوضاء لطيفة محببة تشعرك بالحياة ولا يعكرها صوت ... شردت "فودكا" في ملكوت مختلف ، ظلت صامتة تنتظر بشرود للاشي حتى قطع حبل أفكارها "خالد" النادل قائلاً:

- البابونج .

قالت فودكا بإستتكار:

- هو أنا في قهوة بلدي؟ البابونج؟ مالكيا خالد ما تحطه و تمشي.

بدى متردداً و هو يقول:

- بس أصل...

- قول إخلص.

قال بإحراج:

- الأستاذ اللي على ترابيزة 8 باعتلك دي

مد يده بورقة خط عليها أرقام هاتف ، فأكمل "خالد" كاتمًا ضحكاته:

- و بيقولك هو اللي هيحاسب عالينسون دة و القهوة اللي هنتشربيه معاه كمان شوية.

نظرت للطولة التي تحمل رقم 8 فوجدت شاب من الأوليمب، وسيم لدرجة تقشعر الأبدان، ذو جسد رياضي متناسق ، يرتدي قميصاً أبيض اللون، ضيق للدرجة التي تظهر عضلات بطنه الستة بوضوح، بشرته بيضاء كأسنانه التي ظهرت عندما إبتسم لها، شعره كستنائي موج ثائر فوق رأسه، أمامه هاتف iPhone 15 و مفتاح سيارة BMW موديل السنة ، و يحمل معصم يده ساعة فخمة بمبلغ خرافي، أطلقت " فودكا" صافرة إعجاب عالية لفت على أثرها الرؤوس، قالت لخالد دون أن تنتظر له:

- طب بقولك إيه.. إمشي إنت.

نهضت و تمشيت بإتجاهه أبتسمت فإتسعت إبتسامته ظاهرة صفوف أسنان تراصت بعناية، كان ذلك قبل أن يعلو صوت فودكا في هدوء الكافية:

- بص يا عسل .. هو أنا كنت هعاملك زي أي عيل عبيط عايز يشقظ و أعمل نفسي مش شايفاك ، لكن اللي قومني و هخليني حالاً أفرج عليك كل الناس المحترمين دول هما حاجتين... Actually هما 3 حاجات..

إختفت إبتسامته و بدأت رأسه تتعرق حرجاً و تبدلت إبتسامته بذهول و حرج، لا يجد كلمات رغم بحثه عنها في ثنايا عقله فذلك الموقف هو الأول من نوعه بالنسبة له، إحمر وجهه الأبيض بينما تشاهد الناس:

- أولاً عشان الحركة القديمة البلدي البيئة اللي خلصت من أيام جدي بتاعة الورقة و رقم التليفون.. ثانياً عشان اللافون و البي إم و الروليكس اللي حاططهم في وشي آل يعني هنبهر و هموت ..

بشرته الحمراء كادت تنفجر من شدة الإحمرار.. و الإحراج .. و هو يراقب أعين الجميع تنتظر إليه دون كلمة ..

- ثالثاً بقي...

إقتحم شاب الموقف ليقف بجانب فودكا قائلاً:

- ثالثاً و الأهم.. دة بابونج يا فلاح.. مش ينسون.

و رشف من كوب البابونج الخاص بفودكا الذي كان يحمله، ضحك الجميع على المفاجأة و سخروا مما يحدث، و هذا الشاب بمجرد ما إستوعبت فودكا وجوده ألقّت بنفسها بين ذراعيه قائلة:

- إنت فين يا عم هادي.. وحشتنا يا راجل.

- واضح... بامارة الراجل اللي..

نظر في إتجاه الشاب فلم يجده.. كأن الأرض قد إبتلعتة ، نظر إليها واضعاً يده على كتفها قائلاً:

- يا عيني يا أبني، الواد مستحملش...

قالت ضاحكة و هم يعودون لطاولتها:

- ما هو سباب كل مزز المكان و جالي أنا.. يستحمل بقى.

سحب لها الكرسي فجلست و هو يقول:

- مهو إنتي شكلك و ستايك مختلف عنهم يا فودكا.. فأكيد بيشد العين..

- إيه رأيك بقى إن شكلي دة أنا أصلاً عاملاه عشان أبعد الأشكال دي عني.

نظر لها متأماً، شفاه مصبوعة باللون الأسود، الكحل الفاحم.. الأقراط المعدنية التي تخترق حاجبها الأيمن و شفتها السفلية ، شعرها شديد السواد الذي يجاهد ليصل إلى كتفها ، القميص الأسود المفتوح و (التوب) الرمادي أسفله ، البنطلون الجينز الضيق الذي يحمل فتحات كثيرة تظهر جلد ساقها .. و البوت الأسود الطويل الذي يكاد يصل لركبتها، تلك الملابس التي لا ترتدي غيرها كأنها لا تملك سواها.. و ذلك الإسم الذي تصر أن تخبرنا أن لا أسم لها غيره "فودكا" من يملك إسم كهذا! و لماذا؟ لماذا تفعل فتاة مثلها ما فعلت؟ ماذا رأيت و ماذا فقدت حتى تشوه نفسها بتلك الطريقة ؟ فبالرغم من كل ما فعلته في وجهها مازال يحمل جمال يوناني براق و نظرة بريئة لا تخلو من المكر..

قال مقاطعاً:

- طب و ليه كل دة؟

إبتسمت قائلة:

- بيقصر عليا حاجات كتير..

- إزاي؟

- مش وقته، قولي.. كنت مختفي فين الأيام اللي فانت دي؟

دخل المبنى يمد في خطوته دون إلقاء السلام على أي أحد و لم يعر إنتباهه كل من وقف لتأدية التحية له، لم يركب المصعد بل تقافز على درجات السلم و في الممر حتى وقف أمام المكتب، وقف لثانيتين عدل من وضع ملابسه و هيئته ثم طرق الباب بثلاث طرقات حازمة.. سمع صوت عبر الباب يسمح له بالدخول، فتح الباب و دلف خافضاً رأسه أمام هيئة اللواء "مراد هاشم"، قال الأخير:

- تعالى يا رأفت، أقعد..

تحرك المقدم "رأفت الشيخ" ليجلس أمامه بجدية و إحترام شديد.. بدأ اللواء قائلاً:

- أنا لما قولت أنك إنت اللي تمسك القضية دي كان سببي واضح، و هي ثقتي فيك و في قدراتك و إلترامك..

- إن شاء الله أكون عند حسن ظن سيادتك.

- خد بالك من أخطاء عمر الرفاعي و إقرأ تقاريره اللي كتبها من أول ما مسك القضية دي لحد ما سحبتها منه.

- أوامرك يا فندم.

- مش محتاج أقولك يا رأفت أهمية القضية دي، أنا عايزها تتحل قبل ما حد ثاني يتقتل.

- تحت أمرك يا فندم.

- عايز أسمع أخبار كويسة ... بسرعة.

- أوامرك يا فندم.

- تقدر تتفضل.

- بعد إذنك.

خرج رأفت من المكتب بملامح صارمة ، هو يعرف أنه قد حل الكثير من قضايا السفاحين، و يؤمن بقدراته و ذكائه و حسه الأمني، لكن رغم ذلك قلبه لا يرتاح لتلك القضية ، إثنين عشرة ضحية من الذكور البالغين قتلوا بطرق وحشية، خبرته تؤكد له أن هناك الكثير من الضحايا الآخرين الذي لا يعرف عنهم أحد , غير أنه من المعتاد في تلك القضايا أن تكون الضحايا من الإناث أو الأطفال أو حتى المراهقون ضعاف النفس و الجسد، لكن رجال بالغون عاقلون قادرين على المقاومة و حماية أنفسهم فذلك لا يحدث إلا نادراً جداً و من الصعب على قاتل واحد أن يقتل هذا العدد من الرجال دون أي دليل، رغم أنه لا يتكلف عناء إخفاء الجثة أو حتى مسح أثرها.. يقتل الرجل و يتركه بدمه في مسرح جريمة أبشع في كل مرة... دون بصمة ، دون رمش سقط سهواً، دون قطرة عرق، دون خدش ترك بقايا جلدية بين أظافر الضحية، إثنين عشر رجل تم قتلهم بوحشية و دقة بالغة.. دون علامات ضرب على الجثث إثر مقاومة.. دون علامة لمحقق على الجلد، دون أثر لمخدر في الدم، دون علامات حبس تركت أثرها على الجسد.. لا شيء.. كيف يعقل هذا!..

دلف إلى مكتبه شارد و ألقى بجسده على المقعد ، أشغل سيجارته و نفث دخانها ببطء مغمضاً عينيه للحظات .. لنهض فجأة بنشاط و يمسك بالملف الأول ضمن الكثير من الملفات الضخمة التي تتراكم على مكتبه لهذه القضية.

أدار "هادي" المفتاح داخل المزلاج لينفتح باب شفته، شقة فخمة تدل على ثراء كبير، ديكور قديم لكنه فخم، ألوان داكنة مسمطة كعادة الثقق القديمة الطراز في حي مصر الجديدة، أغلق الباب و وضع ما بيده من حقائب على المنضدة من حقائب تحمل حاجيات المنزل من الأطعمة المعلبة و المنظفات و غيرها مما يليق بحياة شاب أعزب يعيش وحيداً، جلس يلتقط أنفاسه قبل أن ينهض لأحد الأدراج.. وضع يده في مكان يعرفه جيداً حتى لمس المفتاح المخفي، سحبه و تمشى لباب غرفة بين ثلاثة غرف كبيرة .. أدار المفتاح ودلف للغرفة لتتسرب رائحة الفورمالين لأنفه الذي اعتادها حتى أصبحت غير منفرة، بخار خافت يتمشى داخل ظلام الغرفة، أغلق الباب خلفه و ضغط على مفتاح الكهرباء لتنتشر الضوء مبدداً تلك الظلمة، كاشفاً عن ذلك الكابوس الحي.. فالغرفة يتوسطها منضدة تحمل سكاكين كبيرة بجميع الأشكال و الأحجام، بالإضافة إلى كل ما يصلح لقتل كائن حي، فذلك منشأ يدوي، و هذا ساطور كبير.. و هذا ساطور أكبر.. أما هذا فهو منشأ آلي دوار يستخدمه النجارون غالباً .. و هذا مقص أعشاب و الذي بجانبه مقص حداد.. و غيرها من الأدوات النظيفة نظافة تامة كمن لمعت للتو أدوات لا تجتمع إلا في غرفة سفاح، كما أن الحائط المقابل للباب يحمل صوراً لأجساد بشرية مقطعة .. لحوماً آدمية ممزقة ، أما تلك المنضدة الصغيرة في الزاوية فتحمل زجاجات متعددة المقاسات بداخلها سوائل كيميائية مختلفة، أمسك "هادي" صندوقاً خشبياً صغير الحجم و فتحه لتظهر العديد من أمبولات الحقن، بداخلها سائل أحمر يبدو أنه دم! أخرج " هادي" من جيبه أمبولاً به ذات السائل الأحمر من جيبه ليضعه في الصندوق مع الباقيين، أحكم غلق الصندوق قبل أن يعيده لمكانه ، و يمسك بجهاز لوحي كان على المنضدة، ضغط عدة ضغطات على شاشته لتظهر صور يبدو أنها تم التقاطها دون علم صاحبها في أيام و أماكن مختلفة، صباحاً و ليلاً ، في السيارة و المطعم و المقهى و الشارع، يدخل و يتحدث في الهاتف و يراجع أوراق عمله و ينظر في الساعة ، هادئ و يجز أسنانه و يتحدث بعصبية و يبتسم، يأكل و يعمل و يمشي و يسأل و... يمارس الجنس!

صورة تجمعته بزوجته في مطعم فخم، و عدة صور له يمارس الجنس مع أخريات، منهم ثلاث مرات مع ثلاث إناث مختلفات في كل مرة داخل سيارته ليلاً في مكان مظلم! صورتان يظهران انعكاسه مع فتاة أخرى في زجاج دولااب مكتبته تم التقاطها من مبنى مقابل، و عدة صور له يجلس في بار فندق فخم مع أجنبيات...

ترك هادي الجهاز اللوحي و هو يجز أسنانه و إتجه لدولااب صغير في ركن الغرفة .. مد يده ليخرج شعراً أحمر اللون ، و فستان قصير عاري الظهر، و حذاء ذو كعب عالي رفيع ، دسهم في جقينة ظهر سوداء كبيرة هم و أمبولين أحهما فارغ عدة محاقن و جوارب مطاطية قبل أن يغادر الغرفة.

يجلس هادي في أحد بارات الفنادق الفاخرة واضعاً ذلك الشعر الأحمر على رأسه، و على وجهه مساحيق تجميل تخفي ما بقي من ملامحه الذكورية.. ليصبح بذلك تلك الأنثى، مظهره يحعلك تقسم أنه أنثى مثيرة لا يمكنك رفضها.. يرتشف "هادي" قطرات النبيذ حين إقترب منه الرجل صاحب الصور ليجلس بالمقعد المجاور لهادي، طلب لنفسه كأس مارتيني و نظر لهادي مبتسماً و قال:

- بقي في واحدة جامدة أوي كدة تقعد في مكان زي دة لواحدنا؟

نظر له هادي بنظرة أنثوية مدروسة قال بصوت ناعم:

- يمكن عشان مفيش راجل عدل أقعد معاه..

إلتف الرجل بكامل جسده لهادي و هو يقول:

- أكيد محدش فيهم عنده نظر ولا قدرة لتقدير الجمال.

وضع هادي سيجارة بين شفتيه فمد الرجل يده ليشعلها بقداحة من الذهب قائلاً:

- و القمر إسمها إيه؟

نفث هادي دخان السيجارة بغنج و هو يبتسم:

- إسمي لي لي

رأسه يدور.. يشعر أنه غارقاً في عمق ما لكنه ليس مبتلاً.. يشعر ببرودة سري في أطرافه تجعله غير قادر على التحكم بها ، فتح عينه بثقل ليرى سقف غرفة نومه يدور، أغمض عينه لثوان يحاول التغلب على ذلك الدوار.. فتح عينيه مجدداً ليجد وجه الفتاة ينظر له بإبتسامة ظفر، حاول الكلام فلم يستطع قبل أن يدرك ذلك الخدر الذي أعجزه عن تحريك لسانه، حاول النهوض فلم تستجب عضلة واحدة من جسده، حاول تحريك ذراعه بلى جدوى، قدمه، أصابعه، كل أمر يأمره لجسده يعود إليه خائب الأمل، جسده تمرد عليه بطغيان جعل عقله يستشيط غضباً لكن جسده يرسم ملامح البرودة غصباً، إبتسمت "هادي" بأسنان ناصعة البياض و نغزة في الخد الأيمن، و قال بصوت ناعم:

- متخافش، إنت مش هتقدر تتكلم، ولا تتحرك، بس أنا عارفة كل الأسئلة اللي في دماغك.. بتسأل هو إيه اللي بيحصل ؟.. إنت إزاي جيت هنا؟.. فين مراتك و ولادك؟ .. أنا مين و بعمل إيه؟ .. أنا عارفة كل اللي عايز تقوله، بس مش هجاوبك، هسيبك شوية لحد ما تفهم لواحدك .. و لو فهمت هسيبك و أمشي..بس لو مفهمتش بقي...

لوحث بسكينة لحم كبيرة أمام وجهه فإنتفض رعباً و علامات الفرع بدأت تغزو ملامحه، إنسحبت الفتاة من أمامه و هو ينتفض لا إرادياً .. و بدأ العرق ينتشر على جسده و جبهته.. تسربت إلى أذنه ألحان أغنية Cool Hearted Women ثم عادت الفتاة إلى مجال بصره قائلة:

- الأغنية دي هتكون آخر حاجة إنت سمعتها من على موبايلك .. أتمنى تساعدك تهدى و تركز و تستنتج إنت هنا ليه، أو...

و ضربت بالسكين على خشب الكمود فأنتنفض الرجل رعباً و قد بدأ يفهم.. دقائق مرت عليه دهرأ حتى ظهر صوته مكتوم بسبب قطعة القماش التي تلجم فمه و تجففه من مائه و تعترض طريق الكلمات، نظرت له الفتاة في إمتنان قائلة:

- برافو.. كدة أنا أسيبك.

فتحت الفتاة أنبوب الفريون موجهة فتحة الأنبوب لجزعه فأنطلق الفريون البارد يجري على جسده باثأ برودته في كل خلية مما جعله يئن و يصرخ ثم يسعل و ينتفض بينما وقفت الفتاة في ركن من الغرفة تشاهده في إستمناح قبل أن تخلع الشعر المستعار و الملابس و تصبح هادي في هيئته العادية، ظل يشاهد بتركيز بينما يبدل ملابسه حتى شاهد رعشة الموت و شعر بالروح تغادر جسده مضطربة غاضبة باردة، بينما ظل الجسد ساكناً يحمل زرقة الموت و البرد ، إقترب هادي و نظر لوجه الضحية بخليط من الغضب و الغل و متعة ، أزال عن فمه ما لجمه و عدل من وضع جسده ثم خرز المحقن بين أصبعي قدمه و يسحب مليمترات الدم بصعوبة و يفرغ المحقن داخل الأمبول قبل أن يحمل أنبوب الفريون الفارغ و يغادر ثم يعود ليجرد الجثة من الملابس و يغطيها بلحاف حريري أحمر ، و يترك شعرتين من الشعر المستعار على الوسادة بجانبه و يأخذ كل ما لا ينتمي للغرفة و يرحل في هدوء

ترك رأفت الملف الأخير من يده و هو بشعر بالدم يطرق رأسه بعنف، أمسك عليه سجائره ليجدها قد فرغت فألقى ببصره إلى منفضة السجائر فوجدها متخمة بالأعقاب ، نهض بغضب و ظل يدور في الغرفة في حيرة و يحاول ترتيب الأوراق المبعثرة في ثنايا عقله و يفك تشابك العقد و الخيوط لكن بلا جدوى، فقط إرتفع ضغط دمه و عقله كاد بنفجر من الطرق داخله حتى سمع طرقاتاً على الباب:

- أدخل.

مهرولاً دخل شخص ما يحمل رتبة ملازم أول قائلاً بأنفاس متقطعة و قلب يركض:

- إلحق يا باشا، السفاح قتل تاني.

حاول الملازم "أحمد العلالي" عدم التقيؤ من هول المنظر، أشاح بوجهه في إشمئزاز كاتمأ أنفاسه بينما تقدم "رأفت" مدققاً في التفاصيل، الضحية ذكر بالغ .. هذا ما تبين من النظرة المدققة الأولى للجثة، أو ما تبقى منها ، فالمنظر بإختصار عبارة عن حمام دم و أشلاء منتشرة في المكان بشجل يجعلك تقسم أن ذلك الرجل إنفجر من الداخل، لكن بعد الشواهد البسيطة تعلن عن جريمة جديدة للقاتل ذاته.. لم يتمالك الملازم أحمد نفسه فركض لخارج مسرح الجريمة محاولاً السيطرة على ما في معدته حتى خرج للشارع التقطت أنفاسه بعناء ثم أشعل سيجارة نفس دخانها في الهواء قبل أن يسمع صوت "رأفت"

- متقلش دة في الأول بس.

نظر له "أحمد" بعدم فهم فأشعل رأفت سيجارته هو الآخر و قال موضحاً:

- طول ما أنت في الإدارة هنا هتنتعود عالمنظر دي،بعد كدة هيبقى طبيعي بالنسباك مع الوقت.

نفث دخانه و إستدار ناظراً لأحمد قائلاً بحزم:

- خلص سيجارتك و حصلني.

إمتقع وجه "أحمد" و هو ينفث دخانه قبل أن يند سيجارته و يعود لمسرح الجريمة مشمئزاً، فيجد أن رجال المعمل الجنائي قد إنتشروا يبحثون و يصورون و يفتشون في كل شئ، و شاهد " رأفت و هو يدور بينهم يراقب في صمت، الجميع يتعامل مع الدم و الأشلاء ببساطة كأنهم في ملاهي الأكو بارك ، تأمل "أحمد" أفعالهم و تصرفاتهم بتلقائية في هذا المشهد المهيّب ثم قال لنفسه و ماذا بعد، إذا كان عليك أن تعتاد كل هذا، فلتعتاده الآن.. و إنطلق يمسح المكان مع رجال المعمل الجنائي و المقدم رأفت.. لفت إنتباهه أحد رجال المعمل يقوم بتصوير قطع ممزقة بوحشية من كتف الضحية، لحمها ساخن و مازالت تقطر دماً، لكن ما هذا؟ هناك شيئاً ما داخل الأشلاء.. تحديداً بين اللحم و العظام

صرخ فيهم أحمد بالتوقف و ملاحظة ما يوجد داخل الأشلاء فنقدم " رأفت" و أنحنى يزيع اللحم المتساقط فوق ذلك الشئ و ينقب عنه حتى أخرجه.. لفافة من الورق ملفوفة في كيس بلاستيكي صغير ، تقدم إليه أحد رجال المعمل بالكيس المخصص لحفظ الأدلة لكن رأفت نظر إليه نظرة جعلته يتراجع قبل أن يفض ما بداخل اللفافة ، ورقة مكتوب عليها بدم بشري كلمة واحدة (هجيبك)

الفصل الثاني

إنتفض هادي لما سمع رنين هاتفه صباحاً، نظر لرقم المتصل بعين نصف نائمة قلقلة ليجد أنه رقم غير مألوف، و لكن.. من يمكن أن يتصل به؟ هو الذي لا يعرفه أحد ولا يعرف رقم هاتفه.. و هذا ليس رقم أي شخص مألوف، أغلق المكالمات ثم عينيه ليكمل نومه لكن.. أعاد المتصل إتصاله ليخرج هادي من نومه مرة أخرى، اللعنة على صوت نغمات النوكيا المزعجة العالية، أغلق المكالمات و فعل وضع الصامت و كاد أن يغمض عينيه لكن اهتزاز الهاتف في يده جعله يستشيط غضباً و يرد المكالمات و هو مستعد لإخبار هذا المُلح أن الرقم خاطئ، وضع الهاتف على أذنه و كاد أن ينطق لكن سمع صوت رجل يقول:

- إزيك يا هادي

صمت للحظات محاولاً تبين نبذة الصوت و تمييز صاحبها ، محاولة تذكر كل من يعرف رقم هاتفه لكن بلا جدوى

- هادي...إنت سامعني؟

- مين معايا.

- بص إنت متعرفنيش، لكن أنا عارف عنك كل حاجة

- !!!!

- إعذرني عالجمل الكليشييه أوي دي بس ملقيتش طريقة تانية أقولها، خصوصاً أنها حقيقية...

- واضح إن الرقم غلط

قال الصوت ضاحكاً:

- لا يا عم هادي غلط إيه هتزعلي منك، ولا أقولك يا لي لي عشان تصدقي إني عارفك كويس؟

إنتفض هادي في فراشه و قد إتسعت عيناه ذهولاً فقال صاحب الصوت:

- أيوة إتعدل كدة و إنت بتكلمني... أنا عارف كل اللي إنت فاكِر إن محدش يعرفه عنك، كل اللي إنت بتحاول تخبيه ، و

متخافش أنا مش عايز أستغلك ولا أهديك..

- أو مال عايز إيه؟

- هكلمك تاني...

إغلق المكالمات وسط تخطيط هادي و حيرته ، ظل ساكناً يحاول إستيعاب ما حدث و عقله يشد، آلاف الأفكار و الخيالات تهاجم رأسه و مليارات الأسئلة تبرز وسط تيه أصابه مع غصة قلب و خوف من أعتى الدرجات، هل يعرف هذا المتصل عن ضحاياه؟ هل يعرف كم عددهم؟ هل يعرف أين تذهب أجسادهم؟ هل هو أحد أهالي الضحايا؟ هل يمكن أن يكون عابر شاهده بالصدفة و صورته؟ كيف حصل على رقم هاتفه؟ كيف عرف إسم لي لي؟ ماذا يريد؟ ماذا لو معه دليل على ما يعرفه؟

ظل يدور حول نفسه و يتخبط لثلاث ساعات عقله يخبره الاف الاحتمالات و يطعنه بالاف الاسئلة، قبل ان يهتدي إلى إستنتاج واحد هدا من روعه قليلاً، مهما كان ما يعرفه هذا الرجل فهو بالتأكيد أجرى هذه المكالمات ليضعه الان، فيجب عليه أن يهدأ و يفكر، ولا يعطي لتلك المكالمات أهمية حتى تحدث مكالمات أخرى..

أدار المفتاح و فتح باب الغرفة المخصصة لأدواته و معداته، إلتنقط الصندوق و نظر إلى كل أمبول دم بتمعن و هو يتذكر صاحب كل قطرة.. نظر لمعداته و تحسس كل نصل و هو يتذكر كل من تسبب بنهاية أليمة له ، فجأة سمع صوت أطفال يتضاحكون من ركن منسي من عقله، ثم طفل يصرخ و هاجم النور عينه ليسقط مغشياً عليه .

للمرة الثالثة يضع فيها مصطفى اصبعه على جهاز تسجيل البصمة ولا يستجب، زفر في حق و هو يضرب الجهاز بخفة قبل ان يضع اصبعه مرة اخرى لسمع التنبيه (thank you) ، غادر الشركة بسرعة و هو يستعد ليوم راحة من مكالمات العملاء و مشاكل العمل، خرج من باب الشركة و هو يحيي (ربيع) فرد الأمن.. وقف على الطريق ينتظر أحد الميكروباصات المتجهة إلى مسطرد.. عبرت من أمامه الكثير من السيارات المتجهة لمسطرد لكن لا يوجد بها مقعد فارغ.. تعود مصطفى أن يقف منتظراً حتى يجد ميكروباص به مقعد فارغ لراكب غادر في منتصف الخط.. ركل حجراً بقوة و هو يزفر ملأً ليظهر على أول الطريق مايكروباص... أنتبه مصطفى و وقف مستعداً ليجد الميكروباص فارغ إلا من السائق.. أبطأ السائق سرعة السيارة لتتوقف بجانب مصطفى الذي قال:

- مسطرد؟
- بخمسة جنية
- ليه يا عم ما أنا بركبها بأربعة و نص كل يوم.
- هي بخمسة يا باشمهندس.. هتركب؟

للحظة فكر.. ثم فتح الباب و قفز في الميكروباص ليتحرك... فتح النافذة ليصطدم وجهه بالهواء و الضوضاء.. أخرج من حبيه ورقة ذات العشر جنيهاً و ناولها للسائق الذي دسها فوق المذياع و أزاح السكين العسكري الكبيرة ليلتنقط ورقة ذات الخمس من تحتها و يناولها له و على وجهه ابتسامة.. إبتسامة زفر

يشعر بدوار شديد كأن الغرفة بداخل إعصار، حاول فتح جفنيه ليجدهم بثقل فيل أفريقي، حاول تحريك ذراعه فأبى و أعلن العصيان، حاول إستيعاب ما حدث، حاول التذكر أين هو.. بدأت حواسه تعمل واحداً تلو الآخر.. كانت حاسة الشم هي الأولى.. تسربت رائحة العفن إلى أنفه.. تم فتح عينيه بصعوبة ليستوعب.. هادى ملقى على أرضية غرفة القتل.. حاول تذكر ما حدث فبدأت ذاكرته تنتعش.. لقد رآه!... بعد تلك السنوات رآه مجدداً.. تحامل على أعصابه الواهنة و نهض.. خرج إلى غرفة نومه و أمسك بالهاتف يستدعى آخر رقم .. موجود فعلاً! إذا تلك المحادثة حدثت بالفعل.. هناك من يعلم عنه و عن ضحاياه و حتى عن طريقته.. إستسلم لشعور أن ما سوف يحدث له أياً كان فهو يستحقه و ينتظره منذ قتلته الأولى.. لكن.. ما الذي يجعل شخص يعرف كل ذلك أن يخبره أنه يعلم... لو يملك دليل حقاً لقدمه للسلطات فور العثور عليه.. إنه بالتأكيد يريد شئ.. و مهما كان هذا الشئ فسيكون خيط يوصله له.. و حينها سيكون هو ضحيته الجديدة... سمع جرس الباب !

ما هذا اليوم الغريب.. من الذي يرن جرس بابي .. من يعلم أنه يسكن هنا؟ و ماذا يريد؟ ... خطر له هاجس فأتجه مسرعاً إلى الباب و فتحه و وجد فعلاً ما خطر بباليه.. لا أحد.. فقط شئ ما ملفوف بورقة مكتوب عليها (خاص لي لي)

خطف اللفافة مغلقا الباب خلفه و وقف ليفرغ ما فيها و وجد ما كان في عقله.. إسطوانة مدمجة .. ركض إلى أحد الغرف و فتح لابتوب عتيق أوصله بالكهرباء مغذياً.. و أدخل القرص عليه و إنتظر.. دقائق و ظهر أمامه برنامج غريب.. و ظهر وجه الأرنب (باجز بانتي) يضحك و يقضم جزرة ثم تغيرت واجهة البرنامج لفيديو .. فيديو لفتاه تنبح شخص ما ثم تتراقص و هي تخلع فستانها الأحمر لتظهر بجسد رجل.. ما هذا! كيف تم تصويره؟ كيف ترك دليلاً خلفه؟ و أي دليل! إنه دليل قاطع! دليل يخضعه تحت أمرة ذلك الشخص إلى الأبد.. إن ذلك الشخص يعلم جيداً ماذا يفعل و يعلم أنه يملك هادي الآن.. ظل هادي مشتتاً مرتعداً حتى إخنفى الإطار العارض للفيديو و ظهر و ظهر طار آخر... إطار أسود فارغ إلا من ثلاثة نقاط تن...

إنتبه هادي للثلاث نقاط بتركيز ليظهر على الشاشة (إزيك يا هادي)

قرأها هادي بعدم فهم لتظهر كلمة أخرى.. (أنا اللي كلمتك في التلفون، أنا شايفك و سامعك كويس)

إعتدل هادي في جلسته و حاول رسم الثبات على وجهه قائلاً:

- أيوة إنت بتعمل كل دة ليه؟ عايز إيه مني؟
- الأول أعرّفك بنفسي، أسمى علي، شخص ممكن يغير حياتك.
- هات من الآخر و قولي المطلوب...
- عايز أشاركك.

رنين الهاتف إنتزع من نومه، بعقل نصف نائم أجاب:

- ألو.
- ضحية جديدة للسفاح يا فندم.

إنتفض (رأفت) من مكانه قائلاً:

- فين؟
- 15 شارع عماد السيد في مسطرد.

نهض و إلتقط ملابس كاد يسقط عدة مرات و هو يرتديها مسرعاً ثم قفز في سيارته ، نصف ساعة و ترجل منها في العنوان ليستقبله الملازم (أحمد) ، تحركا إلى موضع الجثة ليقول رأفت:

- إيه اللي نعرفه؟
- إسمه مصطفى عبد الكريم السيد ، موظف مبيعات في شركة العبد للقماش، التحريات بتقول انه خرج من الشغل في معاده و كان في طريقه للبيت اللي على بعد 3 شوارع من هنا...

نظر (رأفت) إلى الجثة على الأرض.. أو ما بقى منها.. إن ذلك السفاح يزداد عنفاً بحق.. تلك المذابح لا تنتج إلا عن شخص مختل حقاً، و ليس أي إختلال، إنه جنون بلا أي ذرة رحمة... قال (رأفت):

- و كالعادة مفيش ولا دليل.
- لقينا ورقة تانية...

إنتبهت حواس (رأفت) دفعة واحدة و أحمد يضع في يده ورقة صغيرة مكتوب عليها بدم بشري، قرأ رأفت ما كتب عليها بصعوبة ليجد (المرّة الجاية براقبتك إنت)

قرأ هادي الرسالة مرة أخرى بعدم فهم

- أنا عايز أشاركك

تلفت حوله في حيرة و قال:

- مش فاهم؟
- عندي القدرة أخليك توفر نص المجهود اللي بتعمله مع كل ضحية، و اوصلك لضحايا أكثر

- أنا فعلا مش فاهم.
- إنت مبتقتلش و خلاص، إنت بتنتقي كويس كل ضحية و بتراقبه و بتصوره ، و بتقعد كتير تدور و تحاول و تلاقي داخلة تدخله منها.. أنا هوفر عليك كل دة
- إزاي؟
- سمعت عن الدارك ويب؟
- أيوة بس إيه دخل الدارك ويب باللي بعمله؟
- أنا بقالي سنين بدخل عالدارك ويب و بشوف بلاوي.. طورت من نفسي لحد ما بقيت بقدر أدخل عالداتا بتاعة أعتي المواقع و أوصل لمين اللي بيديرها و أعرف كتير عنهم.
- أيوة و دة هيساعدني إزاي؟
- أصحاب مواقع الإغتصاب و جنس اللي تحت السن و الأطفال و الكل مواقع الجرائم الجنسية

إرتسمت ملامح الذهول على وجه هادي لتظهر رسالة أخرى:

- إيه؟ كنت فاكرك إن صعب حد يعرف إيه النمط بتاعك؟ إنت بتقتل كل اللي بيرتكب جرائم جنسية.. مش عارف إيه إختارت النوع دة بالذات بس كل اللي أقدر أقولهولك إن ضحاياك ملايكة جمب اللي عالدارك ويب.. أنا بقى هوفرلك كل المعلومات اللي هتوصلك لكل واحد و هسهل الموضوع عليك.. و قبل أي حاجة هوريك دلائل عشان تبقى مقتنع..
- و المقابل؟
- أشوفك و إنت بتنفذ كل مرة
- تـ.. شوفني؟
- مش هبقى معاك في نفس المكان.. كل مرة هيبقى معاك كاميرا تحطها في مكان مغطي الموضوع كله.. ألكاميرا دي هتخليني أنفج على اللي بيحصل في الخزائير دول بالتفصيل.
- دة ليه؟
- المتع نسبية.. في ناس متعتها تحس بالخطر، في ناس متعتها تحس بالألم، في ناس متعتها تتهان، في ناس متعتها تقتل.. أنا متعتي إني أشوف.
- دة بس المقابل؟
- و مفيش مقابل غيره

الآن يفهم، الإن يدرك ماذا يريد هذا المختل، هل سيفعل هذا؟ بالتأكيد سيفعل.. إن ذلك الشخص معه مقطع مصور له و هو يقتل... كما أن الموضوع ممتع.. ممتع بشكل لا يصدق.. حاول كتم الحماس في صوته و هو يقول:

- طب كان إيه لازمة الدخلة دي و المكالمة و الفيديو؟
- حبيت بس أوريك أنا أقدر أعمل و أوصل لإيه.. مهما كنت حذر و بتأخذ بالك.. دائماً في حد شايف حسناً المشكلة ستكتن أنه بدلاً من أن يملك له مقطع واحد سيملك الكثير من المقاطع القادمة.. لكنه لا يملك رفاية الرقص فذلك الشخص يملك المقطع الأصلي سلفاً.. نظر للشاشة فوجد علي يكتب:

- بس عندي شرط
- خير
- هتلبس قناع و إنت شغال.. مش هستحمل أشوف عينك و نظرتها و تبوظ عليا متعة اللي بيحصل في الفيديو
- خلينا نتكلم عن الموضوع دة بالتفصيل لما أشوفك.

ظلت الثلاثة نقاط تنن لثوان قبل أن يظهر على الشاشة:

- بس إنت عمرأك ما هتشوفني.

الفصل الثالث

غرفة مكتب مظلمة إلا من الضوء الذي تسقطه شاشة الكمبيوتر على الشخص الجالس على المقعد أمام المكتب، رجل بدين يجلس عاري الجزع و يشاهد ما يعرض على الشاشة بتركيز و هو يتصبب عرقاً، على الشاشة يعرض بث مباشر على أحد مواقع الدارك ويب.. موقع يحمل إسم (Red Room+) ، في البث تظهر غرفة مضوء أحمر غير مريح، في منتصفها يوجد فراش حديدي قذر يحمل فوقه فتاة فاقدة للوعي، يحمل جسدها آثار كدمات و سحجات و جروح في طور الالتئام و جروح حديثة لم تلتئم بعد، و بقعة دماء كبيرة جفت على الفراش المتسخ، و منضدة في الركن تحمل كل ما يصلح للتعذيب.. ينظر الرجل أمام الشاشة تلك الفتاة باشتهاء و عينه على العد التنازلي الذي يتوسط الإطار و هو في الثوان الأخيرة، ثم إعتدل في جلسته مستعداً لبدء البث... ثلاثة.. إثنان.. واحد..

دخل إلى نطاق الفيديو رجل ضخم يرتدي قناع على شكل خنزير قذر... نظر للفتاة فاقدة الوعي ثم تقدم عدة خطوات إلى الشاشة و نظر للكاميرا التي تنقل ما يحدث.. لينفتح مربع أسفل إطار البث للرجل الجالس أمام الشاشة يمكنه من كتابة و الإرسال إلى الخنزير، مد يده للوحة المفاتيح و كاد يكتب لتظهر رسالة أمامه (500 بيتكوين لإكمال المشاهدة، 1500 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الأولى ، 3000 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الثانية ... 10000 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الثالثة... 100000 بيتكوين للمشاركة للـ VIP) نظر الرجل للشاشة و هو يلهث و يتصبب عرقاً.. أخذ ثانيتين تفكير قبل أن يضغط على الاختيار الثاني.. إنفتح له إطار الكتابة ليجد ان هناك من سبقه و طلب بضعة طلبات من المرحلة الأولى (إخلع ملابسها، إضربها بعنف حتى تظهر الدماء، أجدها بالسوط، إنزع أظافرها، ...)

و الخنزير ينظر للطلبات و مع كل طلب يتحرك لينفذه ثم يعود لتلقى الطلب الذي يليه بلا رحمة.. و بلا تردد.. و الفتاة تصرخ و تنن و هو لا يبالي... زادت أنفاس الرجل أمام الشاشة و هو يشاهد منتظراً حتى فتحت الطلبات من المرحلة الثانية و ضغط عدة أزرار كاتباً (إقطع أذنانها) لتظهر رسالة الخطأ (طلب من المرحلة الثالثة) ثم تظهر رسالة (هل تريد أن تملك صلاحية الطلبات من المرحلة الثالثة و تحويل 10000 بيتكوين؟) بدون تفكير ضغط على زر تحويل لتظهر رسالة أخرى (لقد طلبت أمر من المرحلة الثالثة في مرحلة أخرى.. تلك خاصية مقتصرة على الـ VIP هل تريد الحصول على ميزات VIP و تحويل 100000 بيتكوين؟) ضغط الرجل على رفض بقلة صبر لتظهر الشاشة أمامه ، وجد الفتاة تنزف من عدة مواضع و الخنزير يقف منتظر للطلب التالي.. طلب من المرحلة الثالثة.. ليدفع الرجل على المكتب يضغط الأزرار و يكرر طلبه (إقطع أذنانها) و بدأت تظهر طلبات المرحلة الثالثة.. المرحلة الأبعد التي لا تنتهي إلا بموت الضيف كما يطلقون عليه ظل الخنزير ينفذ ما يطلب منه و يعود حتى أصبحت الفتاة كخرقة بالية لا تصلح لشيء ، لم تعد تصرخ، لم تعد تنن، لم تعد تتألم.. ليظهر على الشاشة طلب آخر (إغتصبها بعنف) نظر الخنزير للطلب ثم تحرك إليها لكن رسالة أخرى تظهر أمام الرجل الجالس في مكتبه (لإكمال المشاهدة يجب تحويل 5000 بيتكوين) أطلق الرجل سبة بذينة و وافق على التحويل ليعود إلى البث لكن... !! الفتاة إختفت.. الخنزير ملقى على الأرض عارياً و سكين ضخم مخترق صدره مطلقاً شلال من الدم النجس... إتسعت عيني الرجل أمام الشاشة و فغر فاه ، توقفت يده عن الحركة و جف عرقه في ثانية و هو يشاهد ما حدث ولا يفهم. كيف لفتاة صغيرة لم يفصلها عن الموت إلا لحظات أن تقتل رجل بهذه الضخامة و تهرب في أقل من دقيقتين؟ أثناء صدمته وجد شيء غريب يحدث في شاشته؟ تشوش يحدث لمدة لحظة ثم يحدث مرة أخرى.. إنتبه لما يحدث لتنفجر صافرة مزعجة إخرقت سماعة أذنه .. صافرة عالية تصم الأذان.. ثم صبغت الشاشة باللون الأسود و ظهر وجه الأرنب باجز باني يقضم جزرة و تظهر رسالة على الشاشة (الدور عليك).

كافيه توباكو، يجلس هادي على طاولة في ركن يرتشف قهوته بإستمتاع، يعشق البن غامقاً بلا سكر.. يراقب الناس و ضحكاتهم و أفعالهم .. الصامتون يعملون بتركيز.. المحبون يتهايمسون و يتضحكون و أحياناً يسرقون القبلات.. إبتسم بحانب فمه حين شاهد ذلك الشاب يضع وردة حمراء في شعر حبيبته ثم يخرج هاتفه ليلتقط لها صورة.. كانت الفتاة جميلة بحق، توقع هادي أن تجلس على نفس الطاولة بعد ثلاثة أشهر لتبكي ذكرياتها معه كما تفعل الآن تلك الجالسة على طاولة 12 .. منذ شهرين كانت تجلس على نفس الطاولة مع شاب ظنت أنه حبيبها.. لكنها الآن تبكي وحيدة..

إقتحمت فودكا مجال رؤية هادي قائلو:

- الندالة إيه؟

ضحك قائلاً:

- الندالة إيه يا فودكا؟

سحبت المقعد و جلست أمامه و هي تقول:

- لما إنت جاي هنا مقولتليش ليه؟
- هو أنا من أمتي بقولك أو بتقوليلي... عارفة يا فودكا أحلى حاجة فينا إيه؟
- إننا بنتقابل صدفة دايمًا
- و إنك بتفهميني قبل ما أتكلم.

أشارت لـ(خالد) النادل فذهب الأخير ليحضر مشروبها ليقول هادي:

- في ظروف تانية كان زماننا Lovers يا فودكا.

ضيق فودكا عينها و هي تنتظر له ثم إنفجرا ضحكاً لتقول فودكا:

- إيه يا عم القرف دة.
- أنا تخيلتها للحظة بطني قلبت، تخيلي نبقي زي الملزقين اللي هناك دول.

نهضت من مقعدها و جلسة بالمقعد المجاور له قائلة:

- إستنى نحفل أنا بحب أحفل عالمزقين.

إلتقطت الفتاة صورة بوضع سيلفي مع حبيبها ثم إلتقطت حقيبتها و نهضت بينما إتجه الشاب لدفع الحساب.. ضحك هادي و قال:

- دة أنتي فقر.. كويس إنهم قاموا مشيوا من غير ما يفركشوا.

ضحكت فودكا و قالت:

- لا بس كتاكيت خالص.. و أنا الحاجات الحلوة دي بتمو علي نفسي .
- دة إنتي بومة.
- و ليا الشرف يا عم هادي.

أحضر (خالد) كوب البابونج الخاص بها و تركه أمامها ليقول هادي:

- إنتي هتزهقي من البابونج إمتى؟
- لما تزهق من السم الهاري اللي بتشربه دة.

نظر هادي لقهوته و قال لها ساخراً:

- إيش فهمك إنتي..

رشف من كوبها و بدأت تشعر ببعض هدوء الأعصاب قبل أن تريح رأسها على كتف هادي الذي ما إن لاحظ ذلك خفض جسده لتستريح رأسها.. أمسكت أصابعه بكفها فأحتضن كفها بكفه و وضع قبلة عليه.. عدلت رأسها و ابتلعت البابونج الساخن دفعة واحدة و عادت برأسها إلى كتفه و أغمضت عينيها في راحة و إطمئنان.

فتحت فودكا عينيها في فراشها عارية و العرق يكسوها كمتسابق فاز بالماراثون للتو.. زفرت بغنج و نظرت لهادي النائم بجانبها... تبتسم دوما حين تراه نائماً.. تأملت ملامحه.. شعره الأسود المبعثر من المعركة الملحمية.. ذقنه الخفيفة التي تعشق خربشتها على بشرتها الناعمة.. شفتاه الدقيقتين اللتان حصلتا على نصف المتعة، صدره الذي يعلو و يهبط مع أنفاسه الساخنة.. أنفاسه التي أضافت الكثير من الشبق في لحظات الهدوء و الإستعداد للملحمة.. تأملت سكونه و هدوءه و البراءة في ملامحه الناعمة.. كيف لتلك الملامح البريئة أن تكون بذلك العنف! شعرت و هي تتأمله في نومه أنه ابنها.. إحتضنته و دفنت رأسه في صدرها.. ملمس شعره الناعم و جسده الدافئ و أنفاسه الحارة على جسدها أعادت شعلتها مرة أخرى.. وضعت رأسها على صدره مدت يدها تلامسه.. أبتسمت لما وجدته مازال مستيقظاً.. رفعت عينيها إلي وجهه فابتسم و هو مغمض عينيهِ و قال:

- هتقدري تكلمي؟

- إنت هتقدر؟

- بقى كدة!

و نهض حاملاً إياها بين يديه.. و ذراعيها ملتفة حول عنقه تشم رائحته التي زادت من حماسها فإحتضنته.. حملها للمطبخ و تركها على الطاولة الباردة.. فتح الثلاجة و أخرج قطعة من الفراولة و قطعة ثلج.. ثم إتجه و أمسك بوعاء العسل و ذهب إليها واضعاً قطعة الثلج بين شفتيه.. ابتسمت و هو يقترب منها و مالت بظهرها على الطاولة و فتحت له الجسر المؤدي إلى مدينة الأحلام

يجلس هادي على الطاولة التي تتوسط المطبخ في بيت فودكا.. أحضرت له كوب من الشاي و جلست ترتشف من كوبها.. قال هادي:

- تعرفي إن دي أول مرة أشوفك لابسة حاجة ثانية غير الطقم بتاعك؟
- ما هو لو هلبس هدومك كدة دائماً مش هلبس الطقم دة ثاني.

قال ساخراً:

- واخدة بالك إننا بقينا نلرزق زي اللي كنا بنتريق عليهم من 3 ساعات.

ضحكت و قالت بحنق مصتنع:

- تصدق بالله إنت خسارة فيك الشاي اللي بتطفحه دة.

- أيوة فعلا.. المفروض أشرب عسل سدر جبلي عشان أعوض اللي عملتيه فيا.
- أنا المفروض أشرب مكر كروم

صمت لثانية ثم انفجر في الضحك قائلاً:

- إنتي جبتي الفكرة دي منين أصلاً ... دة إنتي مصيبة.
- يا عم ربح بقي... إشرب شايبك و إتكل على الله عشان مش فاضيا لك..

قال بطريقة مسرحية:

- بقي كدة.. تاخدي غرضك مني و ترميني لكلا ب السكك

قالت ضاحكة:

- انت بتقول إيه إنت! لا يا عم إتكل على الله عشان ورايا مشوار مهم.

نهض قائلاً:

- طب يا فودكا كان نفسي أكمل الحوار اللطيف دة بس إفتكرت إن عندي ميتينج مهم و لازم أحضره عايزة حاجة؟

ضحكت قائلة:

- هشوفك تاني إمتى؟
- هشوفك في توباكو.

شعر رأفت بغصة في صدره من كثرة التدخين، نهض من مقعده و تمشى في غرفة المكتب ذهاباً و إياباً ثم تجرع كوب ماء بنهم قبل أن يجلس على المقعد المقابل للمكتب.. أمسك بورقة من المكتب و تمشى بعينه مراجعاً .. واحد و عشرون ضحية من الذكور البالغين الذي لا يجمعهم صفة واحدة مشتركة... خمسة وريقات تحمل كلمات و جمل مبهمه لا ترتيب لها (هجييك - المرة الجاية برقابتك إنت - ملعوبة صح؟ - فاضلك واحدة - وفيت بو عدي)

يعلم أنه من الممكن أن تكون تلك الرسائل للضحايا أو لشخص ما سيصله خبر الضحايا.. لكنه يعلم أن الأمر ليس بتلك السذاجة.. رأسه ستتفجر من الألم و هو يحاول تبين الصلة بين الكلمات و بعضها، أو بين الضحايا.. في زحامه بأفكاره سمع رنين الهاتف برقم زوجته :

- ألو.

إستقبل صوتها باكياً و هي تقول:

- العملية فشلت يا رأفت، فشلت تاني يا رأفت.

شعر بألم في قلبه لكنه حافظ على هدوءه و هو يقول:

- طب إهدي يا حبيبتي ، قدر الله و ما شاء فعل.. الحمد لله على كل حال.
- يا رأفت بقولك العملية فشلت تاني.. أنا حاسة إني هموت.
- بعد الشر عليك يا حبيبتي متقوليش كدة، أنا هنزل مالمشغل و أجيلك ، إنتي لسة في العيادة؟

فتح هادي باب شفته و دلف بسرعة، ألقى بجسده على الأريكة قبل أن يسمع رنين هاتفه الصغير.. نهض للغرفة و أمسك به مجيب:

- هبعتك اللي بعده...
- إستنى بس يا عم علي مش كل مرة كدة.. أنا عايز أرتاح فترة كدة.
- ترتاح؟ أنت عارف كل لحظة بترتاح فيها دي ممكن كام نفر يتعذب و يموت؟
- صباح الفل يا علي أنا مش راكن الفيل تحت البيت، إنت بتعمل كل دة لمتعتك الشخصية مش عشان تنقذ حد.
- ماشي يا عم الصاحي، في حاجات جديدة عايزك تعملها.
- خير.
- إبقى خد وقتك في القتل.
- نعم؟
- إيوة إبقى إقتلهم قتلة صعبة.. عذبهم شوية، قطعهم و كدة؟
- دة عشان...

قاطعه:

- دة عشان الناس اللي بنتفرج تخاف فعلا تدخل عالمواقع دي تاني يعني تقفلها من المصدر و المتلقي.
- مش عشان متعتك يعني؟
- مهو لو عشان متعتي كنت اتفرجت عليهم هما على طول ما هم بيعملوا اوسخ من كدة
- منطقي... ماشي يا علي في حاجة تاني؟
- إبقى بص للكاميرا و هدهم بأي طريقة.
- ماشي
- إفتح جهازك.. هبعتك الجديد.

دلف هادي إلى غرفة القتل ، جلس أمام لابتوب إبتاعه منذ عدة أسابيع ضغط عدة أزرار لتنتفتح أمامه شاشة سوداء ليظهر الأرنب باجز باني و جزرته.. ثم إنفتحت بعض النوافذ .. النافذة الأولى كانت لبث قديم من إحدى الغرف الحمراء على الديب ويب ، رجالان و فتاة يقفون بلا ملابس في مواجهة الكاميرا و يقف شخص ضخم يرتدي قناع أسود ثم يسحب الرجل و الفتاة خارجاً و يضرب الرجل الباقي حتى يسقط أرضاً.. ثم بخلع حزام بنطاله و يضربه على جسده العاري قبل أن يخلع بنطاله و يتجه إليه.. لم يتمالك هادي نفسه و أغلق تلك النافذة و يستعرض ما في النافذة بعدها، كان بث حي من تلك الغرفة.. نفس الضخم يقف و امامه الفتاة و الرجل من الفيديو السابق.. و طفلة صغيرة.. ظل ينظر للكاميرا و الناس يختارون .. و إنتهى التصوير على إختيار الطفلة الصغيرة.. سعد الدم في رأسه و هو يشاهد ما يحدث لتلك الرقيقة التي يظهر عليها آثار الضرب و الإرهاق .. أغلق النافذة الثانية و إستعرض الثالثة التي كانت تعرض نقطة ما على الخريطة تحدد مكان الأحداث.. كانت تشير لمكان ما في الصحراء.. أما النافذة الرابعة كانت تشير لتخطيط المبنى و من يعملون به... أغلق هادي اللابتوب و نهض ليتجه إلى الدولاب.. نظر إليه فوجد الفستان الأحمر و الشعر المستعار.. و بجانبهم بذلة سوداء و قناع لباجز باني.. إلنقط البذلة و القناع ليرتديهم و يقف أمام المرأة...

بث حي من موقع (TED RED) على الدارك ويب.. غرفة مضاء بضوء أحمر غير مريح، منضدة حديدية تتوسط الغرفة مقيد عليها رجل ينزف من عدة مواضع، و منضدة أخرى تحمل سكاكين و أدوات تعذيب.. و رجل ضخم يرتدي قناع أسود يخفي وجهه.. و شاشة تعرض له ما يكتبه المشاهدون فوقها كاميرا تثبت ما يحدث مباشرة على الموقع.. يتلقى الضخم أحد الأوامر

فنتجه إلى المنضدة و يمسك بمطرقة ضخمة ثم يتجه للرجل الملقى كمنديل ورقي علة المنضدة ليضرب عظام ساقه بها ليصرخ المسكين بعد أن تنهشم عظامه محدثة طقطة عالية و دم ينفجر بين اللحم الذي تمزق من العظام المكسورة، الرجل يتلوى في قيده متألماً و نظرة الضخم له بلا روح.. لا تتأثر.. يعود لينظر للشاشة ليجد أمر آخر فيذهب للمنضدة يسحب المقص الحديدي و يذهب للإصبع الصغير في يده ليفصله عن جسد المسكين الذي أصبح كخرقة بالية و يعود ليتلوى متألماً بين صرخاته.. عاد الضخم ليقف أمام الشاشة .. نظر للأمر الذي صدر من مستخدم VIP و إرتسمت على عينيه علامات الإستنكار.. لكنه يجب أن ينفذ الأمر على أي حال.. فإتجه للباب و فتحه... ثم سقط أرضاً على الفور.. تقدم شخص ما داخل الغرفة . شخص يرتدي بذلة سوداء و يغطي وجهه بقناع الأرنب باجز باني.. تقدم و في يده محقن كبير.. قد غرسه سابقاً في عنق الضخم ليفقد وعيه.. تقدم الأرنب و فك وثاق المسكين الذي على المنضدة و ساندته ليخرج من الغرفة ثم أغلق الباب.. تحامل محاولاً رفع الضخم على المنضدة لكنه فشل تماماً.. فأزاح المنضدة و دفع الضخم ليتوسط الغرفة.. إتجه الأرنب إلى المنضدة التي تحمل الأسلحة ثم سحب سكين كبيرة.. إتجه إلى الضخم الذي يفتش جسده على الأرض و جثى على ركبتيه بجانبه.. أخرج من جيبه قطعة من القماش ما إن قربها إلى أنف الضخم حتى سعل بقوة.. نظر للأرنب و قبل أن يبدي أي ردة فعل دفن الأرنب السكين في صدره مخترقاً العظام و الرئة لتتسلل الدماء من الفراغ بين اللحم و السكين.. رفع الأرنب سكينه ليبدأ شلال الدماء.. نظر الأرنب للدم الذي تحمله السكين و تذكر ما شاهده عن الطفلة و ما فعله بها هذا الضخم.. فرفع السكين مرة أخرى و دفع بها بقوة تماماً في قلبه.. إنسل الدم من فمه و أنفه و سكنت حركته بعد رعشة دامت للحظات.. ثم رفع سكينه مرة أخرى ليخترق بها أسفل بطنه.. و بدأ التمزيق... حين إنتهى كانت الدماء تغطي يديه و بذلته و قناعه.. نهض ناظراً للكاميرا و أخذ يقترب و في عينيه غضب كأنه بركان على وشك الانفجار.. إقترب للشاشة و أخرج من جيبه ورقة مكتوب عليها بالدماء (الدور جاي على كل اللي بيتفرج) و مد يده للكاميرا نازعاً إياها في عنف.. ثم خلع هادي قناعه و أخرج من جيبه محقن آخر و أنبوب قابل لإعادة الملئ و سحب سنتيمترات الدماء ليضيفها إلى الدماء بداخل أنبوبه، ثم نهض و غادر الغرفة في هدوء.

توقف هادي بالسيارة في مكان ما خالي في الصحراء.. ترجل منها مرتدياً قميصاً أزرق.. أمسك بهاتفه الصغير و أعاد إليه شريحة الشبكة .. و ما إن فتحه حتى وصله إتصال من علي:

- ألو.
- عاش يا هادي، أيوة كدة يا عم.. شوفت حاجة زي كدة ترعب اللي بيتفرج إزاي؟
- عايز أسألك سؤال..
- إسأل طبعاً
- إيه موضوع الأرنب دة؟
- كل هاكر و بيبقى ليه بصمة.. باجز دة بقى بصمتي أنا.
- إشمعنى باجز؟
- كل واحد بياخد بصمة قوية أو شريرة .. اللي شيطان و اللي جمجمة، غراب ، بومة، و هكذا.. أنا بقى إختارت حاجة هزلية جداً أولاً عشان يبقى مميز و ثانياً إن الرعب ببيجي من أمتار حاجة متوقعش إنها ترعبك.
- حلو دة..
- حلو فعلاً.. دلوقتي شكل الأرنب دة بقى مرعب لكل اللي بيتابع الريد رومز.
- كدة فاضل كتير؟
- هبعثلك الجديد حالياً بس المرة دي هتكون مختلفة..
- إزاي؟
- ضحية المرة دي مش جوة ريد روم.. دة شخص بيخطف و يبيع الناس اللي بتشوفها ضحايا في الريد روم.. بيستدرجهم بطرق مختلفة.. مهمتك إنك تخليه يستدرجك إنت ..
- بسيطة.. بس أنا هروح من الصحرا دي هنام.. بكرة أبقى أبص عليه

- براحتك أنا كدة كدة بعثلك.. بس إنجز بسرعة عشان..

قاطعه هادي:

- كل ما بيعدي وقت كل ما حد بيتأذي...
- بالطبط.

أغلق هادي المكالمة دون كلمة أخرى و أخرج الشريحة من الهاتف مجدداً و دسها في فمه.. عاد للسيارة و أدار المحرك و إنطلق...

من بعيد شاهد أحد كمائن الشرطة فنظر للحقيبة البلاستيكية التي تحمل الملابس الملطخ بالدماء و السكين التي تحمل بصمته.. تأكد من إغلاقها و وضعها في الأسفل.. يقترب من الكمين و كل بضعة ثوان يلقي طرف عينه إلى الحقيبة التي من الممكن أن تسبب نهايته.. حان دوره فألقى نظرة أخيرة و تقدم بالسيارة.. توقف ليقتحم نافذته يد أحد رجال الشرطة قائلاً:

- جاي منين؟
- كنت في البلد عند أهلي عشان عقبال عندك كان فرح بنت خالي ..
- الرخص...

مد هادي يده في الشمساسة ليخرج رخصتي السيارة و القيادة و ألقى ببصره إلى الحقيبة التي إنزاح طرفها ليظهر طرف القناع الذي يحمل بقعة دماء واضحة.. ناوله هادي الرخصتين و إلتف بجسده مواجهاً النافذة ليخفي بجسده الحقيبة التي إنحسرت عن القناع.. ما إن نظر الشرطي لرخصة القيادة نظر لهادي و ضيق عيناه.. نظر بداخل السيارة ثم عاد لينظر للرخصة متأكداً قبل أن ينظر لهادي متسائلاً:

- الإسم ده مش غريب عليا.. هو إنت ابن العقيد..

قاطعه هادي:

- أيوة فعلاً.. أنا ابنه .. الله يرحمه
- الله يرحمه.. تعيش و تفكر..
- شكر الله سعيك..
- على فكرة والدك كان راجل عظيم.. أنا حضرت الجنازة بتاعته.. كنت لسة يادوب ملازم .. أبوك مات بطل.. يا أستاذ هادي.
- الحمد لله.. أشكرك يا فندم..
- أنا بعذر إنني عطلتك..
- لا ولا حاجة يا فندم أشكرك جداً.

أعاد له الرخصتين وأشار الشرطي لأحد العساكر ليفتح الطريق ، إنطلق هادي و هو يتنفس الصعداء و يلعن علي في سره ألف مرة.

الفصل الرابع

فودكا تجلس في الكافيه منتبهة لشئ ما على شاشة اللابتوب أمامها و يبدو عليها الحيرة، عبر (خالد) من امامها فنادت عليه، عاد لها متسائلاً فقالت و هي تشير إلى الشاشة قائلة:

- بقولك إيه، هو التاتو دة أحلى ولا دة؟

نظر خالد للشاشة ليجد صورة تجمع بين رسمتين للوشم، الأولى فتاة تجلس القرفصاء بجانب غراب يقف على جمجمة بشرية بجانبها، و الأخرى رسمة لفتاة تحتضن جمجمة بيديها قرب وجهها عازمة على تقبيلها، فقال بتردد:

- هما الإنتين حلوين، بس أنا مبفهمش في الكلام دة قوي.

- يابني هو أنا بقولك إرسمهولي، أنا بقولك أنهي فيهم شبيهي أكثر؟

متردداً أشار للصورة الأولى فقالت فودكا:

- حلو، أرسمها فين بقى؟

نظر لجسدها محاولاً كتم ضحكته قبل أن يعتذر قائلاً:

- أنا و الله ما أعرف الكلام دة بيت رسم فين أو إزاي أصلاً يا أست..

قالت مقاطعة:

- طب إمشي يا خالد دلوقت.

تركها (خالد) محرجاً بينما قالت بحق:

- أستاذة فودكا برضه، ما أنا اللي غلطانة إني بسأل خالد .. هو هادي اللي بيغيدني في المواضيع دي.. بس أقول إيه بقى صاحبك على عيبه...

وعدت تقلب في صور الوشوم شاردة.. لم تلاحظ الثلاثة رجال الذين دخلوا إلى الكافيه يتصاحكون ليجلسوا في الطاولة المقابلة لها.. أمسكت فودكا بكوب البابونج و رفعت رأسها ترتشف منه ليقع بصرها على ذلك الرجل الذي يجلس في الطاولة أمامها مع رجلين لم تميزهم ، لكنها تعرفه جيداً، بدأت تظهر عليها علامات التوتر و الخوف ، بسرعة لملت أشيائها في إهمال و وضعتها في الحقيبة محاولة ألا تلفت إنتباه أحد ، غادرت بسرعة و علامات القلق الفزع ترتسم على وجهها بقوة، إرتعشت و حاولت تجنب مرمى بصر ذلك الشخص لكنه كان يجلس في مواجهة الباب، تحركت بخطوات سريعة ناظرة بين كل خطوة على ذلك الشخص حتى إصتدمت بأحد الجالسين فقالت بغضب و هي تمد خطواتها:

- يا عم إوعى إنت كمان أنا ناقصاك.

و ما إن خرجت من الكافيه حتى ركضت مختبئة خلف سيارة قريبة و صدرها يعلو و يهبط من التعب و القلق، نظرت لباب الكافيه تراقب و هي تشك بأنه قد لاحظها و سيخرج باحثاً عنها.. مرت الدقيقتين عليها دهاً قبل أن تطمئن أنه لم يلاحظها و لن يخرج باحثاً فزفرت بارتياح و ركبت أول سيارة أجرة عبرت أمامها.

نظر خالد لطاولتها فوجدها قد غادرت فابتسم متجهاً للطاولة ليرفع كوب البابونج الفارغ تحضيراً لإستقبال ضيف جديد ، لكنه وجد هاتفها على الطاولة بجانب كوب البابونج الذي مازال ممثلاً ساخناً .

في غرفة الاجتماعات يقف (رأفت) أمام جهاز العرض و أمامه قيادات أهم الأجهزة في الشرطة المصرية، يقف شامخاً يقدم آخر ما توصل إليه التحقيق.. تحرك قائلاً:

- و بالتحريات لقينا إن مفيش أي صلة بين الضحايا ولا بين الجمل اللي ساعات بيسيبيها السفاح.. و دة جاب في دماغي فكرة .. إحنا ليه إعتبرناه سفاح؟

تمتم البعض بكلمات لم يسمعها و لم يعرفها إهتمام فأكمل:

- بما يقرب من 30 ضحية.. كل واحد في طبقة إجتماعية شكل.. كل واحد عمره مختلف.. كل واحد منطقة.. كل واحد بشغل مختلف.. الحاجة اللي إستنتجناها من كل دة إن دة مش شخص بيقتل بدافع الإنتقام أو لمتعة القتل.. دة شخص مأجور!

نظر القيادات إلى بعضهم البعض متممين بضعة كلمات سمعها رأفت مبتسماً و أكمل:

- الشخص دة بياخد فلوس مقابل قتل.. و القتل دة بيكون رسالة لحد تاني.. عشان كدة بيسيبي مسرح الجريمة بمنتهى البجاجة و بيسب رسالة.. الرسالة دي للشخص المقصود.. ممكن يكون نوع من الضغط لشخص آخر أو تهديد.. أو وعد.. و اللي بيحصل دلوقتي إننا بنحاول نحلل وجهة النظر دي بناء على المعلومات اللي عندنا و أول ما نوصل لنتيجة هبلغ حضراتكم.

إنطفئ جهاز العرض و أضيئت الغرفة.. ليصفق له القيادات بحرارة ليبتسم هو بفخر و هو ينظر للواء مراد هاشم الذي بادلته الابتسام

ثلاث طرقات و دلف رأفت لمكتب اللواء مبتسماً.. حياه و جلس أمامه ليقول مراد:

- برافو يا رأفت.. إنت فعلاً كنت قد ثقّتي فيك..
- ماشيين بأوامر حضرتك يا فندم.
- إتجدعنوا بقى في التحريات و البحث عشان القضية دي تتقفل.. أظن كفاية جثث لحد كدة..
- هنبذل أقصى ما في وسعنا يا فندم.
- إنت عارف إن القضية دي فيها ترقية صح؟
- إن شاء الله يا فندم أتمنى دة يحصل.
- طب إتجدعنوا بقى.. إقفل القضية دي عشان تأجز و تاخذ مراتك في شهر عسل جديد..

إبتسم رأفت إبتسامة منكسرة و هو يتذكر زوجته فقال مراد:

- إنت لسة موضوع الخلفة دة مضايقتك؟
- مش مضايقتني قد ما مضايقتني هي.. أنا مش فارق معايا غير أنها تكون مبسوبة.. ربنا لسة مأذنش.. هي اللي مصعبة الموضوع على نفسها و صعبانة عليا.. عايز أريحها.
- بص يابني.. الست بتتولد بغريزة الأم.. و دة عكسنا كرجالة اللي الغريزة بتظهر جوتنا أول ما نشوف حنة منك قدام عينك.. لو الست حصلها مشكلة في الخلفة بتبدأ تحس بإنها مش ست.. و هتبص لكل عيل قدامها بحزن و حرقة..
- فإستوعب دة و خف عليها و حاول تشيل عنها شوية.
- بحاول أعمل دة و الله يا فندم بس هي مش مساعداي..

- خلص قضيتك و خد يا سيدي الأجازة اللي إنت عايزها عشان تعرف تهون عليها و حاولوا ثاني و تالت كل حاجة بتبقى بمعاد..
- تحت أمرك يا فندم.. أنا بس في موضوع عايز أقوله لحضرتك و مكنتش عايز أقوله قدام القيادة خير
- الواد اللي بيقتل دة.. مسنود من حد في الجهاز...

رشف هادي من فنجانه ثم نادى على (خالد) النادل.. أسرع خالد إليه قائلاً:

- تحت أمرك يا هادي باشا.
 - يابني بقى بطل الألقاب دي.. فمرة هتقع تحت إيد فودكا و مش هعرف أسلكك.
 - أنا أسف جداً يا أستاذ..
 - يادي النيلة.. مغيش فايدة فيك.. قولي... فودكا مظهرتش؟
 - لأ بقالها كام يوم مش باينة.. و آخر مرة نسيت موبايلها هنا و مشيت و حتى محاسبتش..
- ظهرت علامات التعجب في رأس هادي و دب الشك في قلبه.. أخرج محفظته و مد يده لخالد ببعض الأموال فرفض خالد قائلاً:

- لا و الله يا أستاذ هادي..
- يابني إمسك بقى ما أنا قايلك قبل كدة متناقشنيش و تاخذ الفلوس و إنت ساكت..
- خلاص ماشي

أخذ خالد ما مد هادي يده به فنهض هادي مغادراً ليوقفه خالد قائلاً:

- طب و موبايل أستاذة فودكا؟!!
- خليه عندك لحد ما تظهر و تاخده..

و خرج هادي من الكافيه قائلاً في نفسه:

- برضه أستاذة فودكا.. يا ترى إنتي فين يا فودكا.

فودكا في شقتها أمام اللابتوب، تضغط الأزرار بسرعة و عصبية و بأعين متسعة عن آخرها، ترشف من كوب البابونج الذي يفشل في تهدئة أعصابها كما اعتادت، أغلقت شاشة اللابتوب في غضب و زفرت بعصبية.. سمعت صوت سقوط شئ ما في غرفة أخرى فإبتغضت فزعاً و لاذت بالحائط.. ظلت ثوان و تسحبت بحذر ككقطة متحفزة و هي تتجه لمصدر الصوت.. وجدت على المنضدة أمامها مقص كبير فأمسكت به في وضع الهجوم.. قلبها يركض و صدرها يعلو و يهبط و بدأت رأسها في التعرق و هي تخرج من الغرفة.. دخلت المطبخ فوجدت إناء سقط أرضاً من صف الأنية المتسخة فزفرت براحة قبل أن تنتفض مجدداً و شهقت حين رن جرس الباب.. إتجهت بسرعة و نظرت من العين فوجدت هادي يقف أمام الباب منتظراً بملل.. مدت يدها كي تفتح لكن ترددت.. نظرت مجدداً فوجدته يضغط جرس الباب مرة أخرى.. كادت تفتح الباب قبل أن تتسحب و تعود إلى غرفتها و تتدثر بلحافها.. أخذت ترتعش بينما تسمع جرس الباب.. هادي هو الوحيد القادر على إحوائها و طمئنتها.. لكنها في وضع لا يسمح حتى بوجود الشخص الوحيد الذي تطمئن بين أحضانه.. سكت الجرس.. يبدو أن هادي قد مل و ذهب.. شعرت بالدموع تتجمع في عينيها قبل أن تفر الأولى ليتبعها بضعة دموع صامتة.. ظلت لعدة دقائق قبل أن

تتفرض رأسها.. نهضت بنشاط و توقفت أمام المرأة.. نظرت لعينيها التي تكحلت بالسواد و رسمت ابتسامة ثقة على شفثيها.. قبل أن ترتدي ملابسها و تغادر الشقة.

فتح هادي اللابتوب و ضغط عدة أزرار ليظهر أمامه الأرنب باجز باني ثم عدة نوافذ.. الأولى تحمل لقطات لأشخاص مقيدين في قفص كقفص الحيوانات المفترسة، مختلفين الأعمار و الأجناس.. متسخون مرهقون يظهر على جسداهم آثار الضرب السحل.. صور تم إلتقاطها من مكان عالي بعيد دون ملاحظة أحد.. و صورة لرجل في كل الصور يقف بجانب القفص.. ممشوق القوام شعره طويل ناعم يعقسه خلف رأسه و يرتدي قميصاً بنفسجياً مفتوح الصدر كشف عن سلسلة فضية لوجه كلب، ذقنه كثيفة و نظراته حادة و هو يعرض على السيجار الغليظ بين شفثيه.. و صور أخرى مقرة له و هو يعد مبلغاً ضخماً من العملات الخضراء ..

في النافذة الثانية ظهرت صورة واضحة له تحمل جزءاً من ختم النسر.. يبدو أنها صورة من أحد الأوراق الرسمية.. فتحت النافذة الثالثة و هي نافذة المحادثة بين علي و هادي.. كتب علي:

- سيكون موجود النهاردة في ديسكو بلانكو في الزمالك..
- أعمل إيه؟
- إتصرف يا هادي .. إرجع إستخدم لي لي مثلاً..
- لأ أنا في دماغي فكرة أصعب...
- هتعمل إيه؟
- إتفرج و إتعلم...

و أغلق اللابتوب دون أن ينتظر رد من علي.. أغلق اللابتوب و توقف أمام الدولاب.. نظر لفتان لي لي و بذلة الأرنب قبل أن يخرج من الغرفة و يتجه إلى غرفة نومه.. فتح ضلفة الدولاب و تناول قميصاً أسوداً و بنطال من الجينز ...

دخل هادي من باب الملهى الليلي مرتدياً قميصاً أسود مفتوح الصدر و عدة سلاسل فضية تتدلى من رقبتة .. و نظارة شمسية سوداء .. و ربط قطعة من القماش على رأسه ليصبح أشبه لرواد المكان.. يتقدم داخل الملهى الصاحب و هو يبحث بعينيه عن الرجل ذو القامة الطويلة.. وجده يجلس على البار موالياً ظهره فضربه على كتفه و هو يتقدم قائلاً:

- إيه يا حوكشة مش باين ليه يا ندل..

قبل أن يقف أمامه و يرسم ملامح الصدمة و الإعتذار على وجهه قائلاً:

- أنا أسف جدا يا معلم أنا كنت فاكرك حوكشة صاحبنا أصله...

أشار له الرجل بأن الأمر بخير و هو يجز أسنانه فسحب هادي الكرسي الذي بجانبه و جلس قائلاً:

- أصلك مش فاهم .. إنت من ضهرك هو بالظبط.. هو بس بقاله كام يوم مختفي و إحنا مش متعودين منه على كدة..
- حصل خير.
- إنت قاعد مع حد؟
- أفندم!
- أصل الجانج جايبين كلهم كمان نصاية كدة و لو مش قاعد مع حد أقعد إحتفل معنا يعني كنوع من الإعتذار.. و أوعدك هتتبسط.

للحظة ظهرت علامة الزفر على وجه طويل القامة و قال:

- إذا كان كدة بقى فأنا معايا ستاف في العربية هيخلي البارتي تحلو.. تعالى نشرب سيجارتين و نشوف..
- طب ما تطلع تجيبه و تيجي..
- ما إنت عارف إن الكلام دة ممنوع هنا.. ولا إنت شكلك بتلاوع و أول مرة تيجي!
- لا يا عم أنا اللي بختبرك بس.. مش ممكن تكون هتاخدني برة تثبتني.. عالعموم عاش .. يلا بينا.

الفصل الخامس

يشعر هادي بألم يملأ جسده بالكامل.. رائحة عطنة قذرة تزعج أنفه.. فتح عينه بصعوبة ليرى اللون الأحمر.. سقف غرفة قذرة تتسلل منه قطرات المياة.. و رجل ضخم يرتدي قناع قرد يقف في مواجهة شاشة تحمل فوقها كاميرا... ظهر على الشاشة كلمة (المرحلة الأولى) و بدأت تتوالى الرسائل (إضربه في وجهه حتى ينفجر الدم.. إخلع ملابسه.. إكسر أحد أصابعه.. إكسر ذراعه..)

تحرك الضخم و جثى فوقه .. طقق أصابعه و ظل يكيل له اللكمات حتى إنفجر الدم من أنفه و فمه.. الألم يقتله .. نهض الرجل و أمسك بمقص كبير و أزال ملابسه بالكامل.. ثم نظر للشاشة و إتجه إليه.. وقف بجانبه و أمسك بإصبع يده اليسرى و لواه عكس إتجاهه ليصرخ هادي من الألم و هو يسمع الطقطة.. ذهب الضخم للمنضدة التي تحمل أسلحة و أدوات و أمسك بمطرقة حديدية و إتجه لهادي.. ثبت يده جيداً بيد غليظة قوية و بالأخرى رفع المطرقة في الهواء و قبل أن يهبط بها ظهرت رسالة على الشاشة من مستخدم VIP الرسالة كانت (توقف)..

نظر الضخم للرسالة و حاول التوقف لكن الوقت لم يسعه لتهدئ المطرقة بنصف قوتها فقط على ذراع هادي الذي تلوى ألماً، نظر الضخم له ثم للشاشة مرة أخرى لتظهر رسالة من نفس المستخدم (إبدأ المرحلة الثانية) لتظهر فوراً على الشاشة جملة (المرحلة الثانية) و تبدأ الأوامر.. (دق مسمار في ساقه.. إقطع ذنه بإستخدام المنشار.. إجذب شعره بقوة حتى ينخلع في يدك.. إثقب أذنه حتى ترى الدماء.. إقطع أنفه...) قرأ الضخم الأمر الأول و إتجه ليمسك بمسمار كبير ثم عاد لهادي الذي مازال يتألم.. ثبت المسمار على ساقه و رفع يده بالمطرقة و هم أن يهوي بها لتظهر رسالة من مستخدم VIP آخر.. (توقف) لينظر لها الضخم ثم يحاول تنفيذ الأمر لكن.. لكن تلك المرة ينجح في التوقف قبل أن يطرق المسمار في ساق هادي الذي تنفس حين رأي الضخم يبتعد.. المستخدم VIP الأول ظهرت رسالته بالإنعقال إلى المرحلة الثالثة... لتظهر على الشاشة جملة (المرحلة الثالثة) و فوراً ظهرت رسالة من VIP (فك وثاقه) نظر الضخم للجملة مستكراً لكن رغم ذلك إنتقل لهادي و فك قيده.. لكن هادي ظل مكانه لم يتحرك ألماً... رسالة أخرى من نفس المستخدم (ساعده على النهوض و أعطه سكين) تبعها برسالة أخرى (أمسك بسكينه و واجهه) و إنهالت الرسائل مؤكدة لذلك فالحماس و الأدرنالين قد صعد لأقصى درجاته.. تحرك الضخم و فعل ما أمر.. وقف هادي مترنحاً متعباً متألماً بينما وقف الضخم ساكناً مستهوناً.. اللون الأحمر بالغرفة زاد حماس المشاهدين و هم ينتظرون تقطيع هادي.. إقترب الضخم من هادي و رفع يده في الهواء قبل أن يهوي بها هوى هادي على الأرض فاقد الوعي.. نظر له الضخم ثم نظر للشاشة منتظراً لتظهر رسالة من مستخدم عادي (إرفعه على الطاولة و أكمل المرحلة) ترك الضخم سكينه و إتجه إلى هادي.. إنحنى و رفع قدمه و يده ليخطف هادي بالنصل على رقبة القرد لتنتشر نافورة الدم التي غطت هادي في ثوان.. أمسك الضخم رقبته بكلتا يديه و صدرت منه حشجة قوية قبل أن يحاول التمسك بأي شئ و هو يسقط أرضاً.. بصعوبة تحامل هادي على يده و نهض و الدماء تغطيه.. نظر للكاميرا و لوح بسكينه أمامها أن ذلك خطأ ثم حرك يده على رقبته تهديداً لمن يشاهد قبل أن ينزع الكاميرا و يعبر من فوق الضخم...

نظر (خالد) إلى الساعة و إبتسم براحة.. فقد حان ميعاد إنتهاء وردية العمل في الكافيه.. وضع كوب الشاي الذي يحمله أمام العميل و تحرك قاصداً غرفة تغيير الملابس الخاصة بمن يعملون في الكافيه لكن شخص ما أوقفه متسائلاً:

- هو هادي فين؟

من منظر الرجل الغريب لم يستوعب (خالد) سريعاً فقال الغريب:

- هادي اللي هو بيقى....
- أيوه أستاذ هادي.. هو الحقيقي بقاله كام يوم مبيجيش و إحنا منعرفش عنه حاجة...

- إيه دة طب ما تديني رقمه!
- هو حضرتك تعرفه كويس؟

إبتسم الغريب إبتسامة طفولية قائلاً:

- إلا أعرفه.. دة أخويا..

ظهرت علامات الإستنكار على وجه خالد فقال الغريب:

- أكثر من أخويا كمان.
- و لما هو أكثر من أخوك إزاي متعرفش إنه مبيستخدمش تليفونات.. دة الكافيه كله عارف!
- هو لسة فيه العادة دي... طب يا عم روح هاتلي نوتيل سخن.
- نوتيل؟
- أيوة يا عم نوتيل مالك!
- أبدأ يا فندم أنا بس معاد الشيف تبتاعي خلص فهطلبه لحضرتك و زميلي هيجبهولك.
- ماشي يا عم .. المهم إنه بييجي..

طلب خالد المشروب و أخبر بديله في الوردية و قبل أن يدخل إلى غرفة تغيير الملابس وقف ناظراً لذلك الغريب، شاب طويل القامة يقترب عمره من عمر عادي.. يرتدي تي شيرت أصفر يحمل صورة بطاقة!.. يرتدي سلسلة حديدية تحمل علامة إكس.. و يرتدي شورت جينز به بعض الخدوش.. شكله غريب عن المكان و كم يجلسون فيه.. أخرج الغريب هاتفه الحديث و ظل يلتقط لنفسه صوراً كثيرة .. تعجب خالد منه و من ملابسه و تصرفاته قبل أن يصرف تلك الأفكار عن رأسه و يدخل إلى غرفة الملابس...

في الطاولة المقابلة لطاولة الغريب كانت تجلس فتاة رقيقة جداً.. شعرها متوسط الطول يحمل اللون البني.. بشرتها بيضاء لامعة و عينيها رماديتان.. ترتدي فستان قصير عاري الأكتاف .. رقيقة إلى الحد الذي يجعلك تخاف أن تمد يدك إليها بالسلام كي لا تجرح بشرتها الصافية.. تقدم إليها النادل فابتسمت له في رقة قائلة:

- نيسكافيه بندق.
- تحت أمرك يا فندم.

قالها محافظاً على إبتسامته و إنصرف.. أخذت الفتاة تعبث في هاتفها عدة دقائق حتى عاد إليها النادل بكوب النيسكافيه لتخرج من حقيبتها قطع المارشملو و تضع بعض القطع في الكوب لتذوب ببطء.. نهض الغريب و أمسك ذراع النادل و هو يعبر بجانبه قائلاً بصوت خفيض:

- أنا طالب نوتيل بقال شوية.. المزة دي طالبة اللي بتطفحه من 3 دقائق.. قدامك دقيقة لة النوتيل مجاتلش أنا هخلي هقتلك و هعمل لنفسي مشروب نوتيل في نفس المج اللي هشرب من دمك فيه.. فاهم.

إنتفض النادل و إرتعد و هو يهز رأسه موافقاً قبل أن يركض ليحضر مشروبه.. بينما إتجه الغريب إلى الفتاة و قال لها بإبتسامة و نبرة صوت مختلفة:

- لو سمحتي يا أنسة،
- أنا خدت بالي إنك بتحطي مارشميلو عالمشروب بتاعك فأنا حابب أعرف الميكس دة إيه؟

إبتسمت برقة و قالت بصوت خفيض:

- دة نسكافيه بندق .. أنا بحب أحط المارشميلو عليه عشان يدوب و أشربه كدة و هو سخن.. بيخطف قلبي.

إبتسم لها فمدت يدها بالكوب قائلة:

- تحب تجرب؟

- بس انا مش هتقرفي؟

- ليه بس بتقول كدة .. طب أقولك أنا عازماك .. إنت قاعد في أنهي تراييزة..

رغمًا عنه إبتسم من رقتها و أشار على طاولته قائلاً:

- أنا قاعد هنا بس أنا أسف .. أنا طالب نوتيلو و زمانها جاية خلاص أهيه.. لكن أوعدك هجر بها.

- متأكدة إنها تهتجيك

- هي عجبتي خلاص..

وحياها عائداً إلى طاولته ليجد مشروبه، كيف لم يلاحظ النادل و هو يحضره؟ لم يعر ذلك إنتباه و أمسك بالكوب.. رشف منه رشفة سريعة ليغمض عينيه في إستمتاع حقيقي قبل أن يقول بصوت خفيض:

- إنت فین یا عم هادی.

هادي في فراشه.. جسده ملفوف في عدة ضمادات و يبدو عليه الإرهاق.. تعالى رنين هاتفه فبصعوبة إلتقطه و فتح المكالمة:

- ألو

- حمد الله عالسلامة يا بطل.. عامل إيه دلوقتي؟

- تعبان يا علي.. المسكنات مش عاملة نتيجة..

- ما أنا قولتك بلاش الخطة دي .. إنت اللي صممت .. أهوه لسة الواد حر طليق.

- مهو لو كنت لحقتني كان زماني على رجلي..

- يابني مهو كان في واحد ثاني VIP كلامه قصاد كلامي و الاتنين بيمشوا عالك

- و انت ملقتلهاش حل!

- مهو أنا حاولت أهوه و أديك الحمد لله بصحتك.. هو بس الكام كسر و الوجع و كدة..

- و صباعي اللي طار يا علي!

- يا عم فداك الحمد لله إنك لسة عايش.. على فكرة ..

- ايه...!

- أنا بعثتك الجديد..

- إقفل يلا .. إقفل.

و أغلق المكالمة قائلاً:

- أهوه أنا في يوم لو جيت أقتل على مش هلاقي فيه نقطة دم واحدة...

خرجت فودكا من محطة قطار سيدي بشر بالأسكندرية.. ترتدي سماعات الرأس الذي يخرج منها الأصوات الصاخبة التي تتميز بها موسيقى الميتال.. أشارت إلى سيارة أجرة و دلفت إلى الكنية الخلفية لتتطلق بها عبر شوارع الأسكندرية العريقة.. أشعلت سيجارة L&M RED و نفست دخانها في الشوارع.. حين إنتهت السجارة كانت قد وصلت لوجهتها.. خلعت سماعتها و حاسبت السائق و ترجلت من السيارة أمام بيت من ثلاثة أدوار.. وقفت على الرصيف المقابل تنتظر لنافذة الطابق الثاني هاجمتها الذكريات بلا شفقة.. إقشعر جسدها من فرط الحنين و هي تذكر عمراً بأكمله.. خيل لها أن شخص ما عبر من أمام النافذة فإنتبهت.. وجدت سيدة أربيعينية عبرت بسرعة من أمام النافذة قبل أن تعود متأكدة مما رأت.. تلاقى أعينها مع أعين فودكا.. في لحظة دمعت عيني فودكا رغم محاولتها المستميتة في كتمها.. و السيدة في النافذة نظرت إليها بنظرة جامدة لا روح فيها... ظلت تحدق إليها بلا مشاعر.. شعرت فودكا أنها غير قادرة على التحكم في مشاعرها و لن تقدر على كبح بكائها أكثر من ذلك فركضت و هي تداري وجهها في كفيها ماسحة القطرات الساخنة من عليه... ركضت لأول شارع جانبي و سقطت على ركبتيها و إنهارت.. بكيت كما لم تبكي من قبل.. لم تنتبه إلا عندما شعرت بيد تلمس كتفها.. في ثانية لوت الذراع الذي كان يلمسها و نهضت مستعدة لتوجيه اللكمات لكنها تفاجئت بأن ما في يدها هي ذراع رجل مسن حاول الأطمئنان عليها و طمئننتها.. و إنتبهت للعيون التي تلتف حولها فصرخت فيهم و ركضت كثيراً حتى وصلت إلى البحر.. بحر إسكندرية.. ذلك الساحر القادر على سحب التوتر منك في لحظات معدودة.. جلست أمامه و تنهدت حتى إستكانت.. أخرجت سيجارتها الأخيرة و ألقت العلبة الفارغة قبل أن تشعل السجارة.. سحبت نفساً طويلاً و نفثته.. نفثته و نفثت معه البكاء و الحنين و الذكريات.. نفثت معه الخوف و الظلم.. نفثت معه كل ما يعتل في صدرها.. أنهت سيجارتها و نهضت.. أشارت لسيارة أجرة لفظتها أمام محطة القطر.. أعادت السماع إلى رأسها و خطت خطواتها بثقة داخل المحطة.

خطأ صغير يكشف عن قاتل محترف.. ذلك ما قاله الرائد (رأفت الشيخ) و هو يشاهد ذلك الشريط المسجل من إحدى كاميرات المراقبة لأحد المباني المواجهة للمصنع الذي كان يعمل به مصطفى.. أحد ضحايا القاتل.. تعرض صورة جانبية للسائق الذي ركب معه مصطفى بعد أن غادر من عمله.. و تعرض أيضاً أرقام السيارة بوضوح.. يبدو أنه عثر على كنز... أمسك بالهاتف و طلب رقم داخلي قاتلاً:

- تعالالي حالاً.

دقيقة و سمع طرقاتاً على المكتب و إذ بـ(أحمد) يدخل ليقول له (رأفت) في حماس..

- معانا خيط مهم جداً بس نستغله و نعمل شغلنا صح..

- طبعاً يا فندم بس وصلنا لإيه؟

أدار رأفت الشاشة لتصبح في مواجهة أحمد ثم ضغط على لوحة المفاتيح لإشاهد أحمد ما يحدث و تتسع عيناه.. قال في دهشة:

- هو دة...؟

- مصطفى الضحية رقم 16 يا أبو حميد..

- يعني إحنا كدة معانا صورة و رقم عربية!

علت الجدية صوت رأفت و هو يقول:

- الخبر دة أوعى يوصل لحد تالت.. دة بيني أنا و إنت بس.. فاهم؟ لحد ما نشوف ممكن يكون مسنود من مين.. أهم

حاجة نتحرك من غير ما حد يحس بينا.

- تحت أمرك يا فندم.

- هاه.. تتور في الصورة ولا العربية؟

تردد أحمد قائلاً:

- أأأ .. اللي تشوفه يا فندم.
- خد إنت أرقام العربية عشان أسهل .. سييلي أنا موضوع الصورة ده.. لو وصلت لحاجة بلغني على طول حتى لو الفجر.
- تمام يا فندم.
- روح إنت .. و إبدأ حالاً.
- حاضر يا فندم.

غادر أحمد ليشعل رأفت سيجارة هي الأمتع منذ أصبح مسئولاً عن تلك القضية.. أمسك بهاتفه و أجرى إتصال بزوجته قائلاً:

- إيه يا حبيبتى..
- أيوة يا حبيبي..
- تحبي أجيب بليل و أنا راجع حمام ولا سي فود؟

بفرحة و عدم تصديق سألت:

- إيه؟
- أنا بقول أجيب الإثنين.. و أعدي على حبايب السيدة أجيب شوربة كوارع..

بفرحة قالت:

- هو إيه الجديد؟
- الجديد إن خلاص القضية في آخرها و بتتحل.. يا وش السعد..

ضحكت و قالت:

- طب تحب ألبس إيه؟... أنا ممكن ألبسك الـ..

قاطعها قائلاً:

- إلبسي أي حاجة يا قمر كدة كدة مش هحتاجها كتير.. أقولك... إلبسي حاجة إنتي بتحبيها...

قالت بحماس:

- هتيجي إمتى؟
- ساعة بالكثير و هتلاقيني قدامك.

أغلق المكالمة و أمسك بهاتف المكتب طلب رقم داخلي ليرد عليه ضابط في مكتب آخر فقال رأفت:

- أيوة يا حبيبت... أحم أأأ أيوة يا بلال... تعاللي بسرعة .. لأ سيب اللي في إيدك و تبقى قدامي حالاً.

وضع هادي القرص في فمه و ابتلعه بكوب ماء .. ظل سكارناً يحاول النهوض لكن جسده يخونه.. تحامل على نفسه و حاول رغم الألم الذي يفتك بيده حتى نجح و نهض.. دخل إلى غرفة القتل و ضغط زر الإضاءة.. سحب كرسيّاً حديدياً و ألقى بجسده عليه.. ظل يتمشى بعينه على الأسلحة و الصور.. الدولاب و الأدوية.. العبوات و المحاقن.. مد يده إلى سكين كبيرة و سحبها

ليرى إنعكاسه فيها و عينيه التي مازالت تحمل أثر اللكمات.. تحسس شفته بأصابعه ليبيعهها ألباً قبل أن يعود لغرفته .. أمسك الهاتف و طلب رقم علي ليرد الآخر بعد دقائق:

- إيه يا بطل.. جاهز للجديد؟
- أنا بس عايز أسألك سؤال..

إعتلت الجدية صوت علي و هو يقول:

- خير يا هادي..
- إحنا هنفضل كدة لحد إمتى؟

صمت على لثوان ليست بالقليلة قبل أن يجيب:

- لحد ما نقضي على الريد رومز اللي في مصر كلها يا هادي..
- و بعدين؟
- خلاص كدة كل واحد يشوف حاله..
- و أنا بعد كل دة أضمن منين إنك مترجعش تستغل الفيديوها اللي معاك دي.
- يابني إنت عبيط.. ما أنا لو عايز استغلها أو أذك بكبها كان زمانى عملت كدة..
- ما إنت إستغلنها عشان تجبرني أشغل معاك!
- و أنت عمرك ما كنت هتشتغل معاها إلا و إنت مقتنع.. أنا بس إديتلك هدف أكبر.. و كل ما الهدف بيكبر كل ما خطره بيزيد.. و أحب أفكر إن اللي حصلك دة كان بسبب إرارك على خطة معينة أنا نفسي حذرتك منها..
- يعني عايز تفهمني إنك يهكم مصلحتي و خايف عليا؟
- إيوة طبعاً يا هادي .. إحنا شغلنا مش زي أي شغل .. شغلنا قربنا من بعض كثير..
- طب لو يهكم مصلحتي فأنا هقولك قرار..
- قول..
- أنا عايز أبطل...

صرخاتها العالية تزيد حماسه و قوته.. العرق يكسوهم فيغرقهم و يجعل منهم جسد واحد.. تنن أحياناً.. تتأوه أحياناً.. تصرخ أحياناً و هو من فوقها يسعى بداخها بقوة.. تهدجت أنفاسه و سرعت حركته و ظهر أنينه بين صرختها ليتنفضا سوياً بعد أن وصلاً لقمة إفتقدوها منذ وقت طويل.. إرتى بجانبها لاهناً فلاذت بحضنه .. أحاطها بذراعه محتضناً و قبل رأسها في حب ليتسلل لأنفه أريجها الذي يعشقه عشقاً.. قال لها بين أنفاسه:

- إن شاء الله المرادي تنفع..
- إن شاء الله يا حبيبي..

أمسكت بكفه و وضعت قبلة عليه لبيتسم و يحتضنها بقوة.. مدت يدها أسفل الفراش و أخذت تحركها ببطء فضحك و نظر لها ليتبدل قبلة طويلة أعادت شبقهم مجدداً.. صعدت فوقه فأمسك يديها بقوة.. صرخت فجذبها لحضنه و ضمها بين ذراعيه و هي تنن و تصرخ ليقطع معركتهم الحميمية رنين الهاتف.. توقف رأفت لثوان كانت كافية لتفقت زوجته من حضنه و تنظر له.. قال لها:

- سيك منه .. خلينا نكمل..

أحاط خصرها بكفيه و أخذ يحركها ببطء ليتصاعد صوت الهاتف مجدداً .. نظرت في عينيه و قبل أن تنطق أمسك رأفت بهاتفه و ألقاه بعيداً قائلاً:

- مفيش حاجة هتاخدني منك النهاردة.

و طبع قبلة على كفها فقالت:

- بس التليفون خذك مني خلاص يا رأفت.

- لأ يا حبيبتي أديني دقيقتين بس و هتلاقيني موجود معاكى..

طبع قبلة على شفتيها.. رقتها.. صدرها.. حاول أن يتحرك قليلاً و حاولت لكنها نهضت و جلست على الفراش قائلة:

- خلاص يا رأفت متحاولش.. الموضوع خلص خلاص.. إتفضل رد عالتليفون اللي قلقك و خلاك مش مركز كدة

- لا يا حياتي الموضوع مش كدة الموضوع بس..

قاطعته:

- متحاولش يا رأفت.. قوم شوف شغلك و واجبك.. و لما تفضى إبقى قولي..

أدارت ظهرها له فنظر لها بأسى.. هو يعلم أنها على حق.. لكنها لا تعلم أنه قد يكون على حق أيضاً.. إرتدى ملابس تغطي جسده و أمسك الهاتف عازماً بعد إنتهاء القضية أن يعوضها عن ذلك في رحلة بلا هواتف.. المشكلة أنه لم يقل هذا بصوت مسموع و إكتفى أن قاله في عقله..

- ألو.

- أيوة يا أحمد خير؟

- أنا أسف لو بكلمك في وقت مش مناسب بس حضرتك قولتلي كلمني في أي وقت..

- بعد إيه بقى.. مهو أنا اللي غبي..

- أفندم

- لا ولا حاجة.. خير يا أحمد..

- أنا وصلته..

- أنا عايز أبطل...

ظل علي صامتاً ليكمل هادي:

- أنا لما كنت بعمل كدة كنت بعمله عشان بستمع بيه.. و لو على إختياراتي فكانت عشان مضطرش أقتل حد ملوش ذنب.. لكن لما ببقى واجب و إنقاذ و مسئولية.. لأ.. أنا مش دة..

- و بعدين؟

- أنا ساعدتك كتير و قفلنا مواقع زي دي كتير و خلينا الناس تخاف.. يعني إنت لو دخلت أي بث و حطيت بس لوجو الأرنب بتاعك كل اللي بيتفرج هيقلل الموقع و يخاف.. و هتبقى نجحت من غير ما تضطر تلجأ لواحد زي..

- و بعدين؟

- و بعدين إيه؟

- إنت هتعمل إيه؟

- هرجع أتعامل بلي لي، الموضوع كان أريحلي و كنت مستمتع بيه جداً و بعمله كل ما أبقى عايز أعمل كدة.. مش فرض..
- و أنا موافق

هادي بمفاجأة:

- موافق؟
- آة إستغربت ليه؟
- لا مستغربتش.. أنا بس..

قاطعه علي:

- متخيلتش إن الموضوع بالبساطة دي.. إفتكرت إني هلوي دراعك بالفيديوهات صح!
- يعني آة..
- لأ يا عم مش هعمل كدة.. هسيبك تعمل اللي إنت عايزه.. بس بشرط واحد..
- إيه؟

صمت علي دقيقة مرت دهرأ على هادي قبل أن يقول:

- تقابلني بكرة.

سمع هادي رنين جرس الباب فقال لعلي:

- متفقين .. بس أنا اللي أحدد المكان..
- متفقين... روح افتح الباب اللي صدعني دة... و شوف هتحدد أنهي مكان و إصل قولي

أغلق هادي المكالمة و إتجه للباب بجهد ... نظر من العين ليرى ضابط شرطة يقف بظهره أمام الباب يتحدث مع الكثير من الجيران المتجمعين أمام شقته.. ثم عاد الضابط ليضغط على جرس الباب ليرى هادي وجهه.. ذلك الضابط هادي يعرفه جيداً..

الفصل السادس

دخلت فودكا الكافيه بثقة لتستدير جميع الرؤوس لها كالعادة.. لم تعر أحدهم إهتمام و إتجهت إلى طاولتها.. وجدت عليها الفتاة الرقيقة ذو الأعين الرمادية تجلس و بين يديها نيكافيه المارشملو.. إقتربت منها فودكا قائلة:

- لو سمحتي يا حبيبتي ممكن تغيري الترابيزة..

ظهرت على وجه الرقيقة ملامح الإستنكار قائلة:

- طب ما تقعدني إنتي على ترابيزة ثانية!

حاولت فودكا التحكم في أعصابها و هي تقول:

- معلش أنا بقالي سنين متعودة أقعد في الترابيزة دي..

- يا حبيبتي ماشي.. مفيهاش حاجة لو غيرتي المرة دي بس.

نظرت فودكا إليها نظرة أحرقتها و هي تقول بغضب:

- بقولك قومي يا ماما عايزة أقعد مكاني!

إلتفتت الرؤوس إليهم و لفتت الأحداث نظر العاملين في المكان ليركض خالد إليهم قائلاً:

- أستاذة فودكا حمد الله عالسلامة.. إيه الغيبة الطويلة دي..

ثم نظر إلى الفتاة قائلاً:

- أنا بعذر لحضرتك جداً يا أستاذة لو سمحتي ممكن تنقلي على ترابيزة ثانية و ليكي مشروب Free من المكان..

نظرت الفتاة لفودكا شذراً و نهضت قائلة:

- لأ شكرأ.. مش عايزة مشاريب... خليها تشبع بالمكان..

تقدمت فودكا إليها مادة يدها فأمسك بها خالد قائلاً:

- خلاص يا أستاذة فودكا هي سابتلك الترابيزة.. مفيش داعي لمشكلة...

قالت فودكا بغضب مضاعف:

- إنت لو قولتلي يا أستاذة دي ثاني أنا هز علك في رجولتك.

تقهقر خالد عدة خطوات ناظراً للأرض قبل أن ينسحب بدون كلمة.. جلست فودكا و أخرجت سجائرها و قداحتها و اللاب توب الخاص بها.. أشعلت سيجارة و فتحت اللاب توب تعيث في أزراره ، تقدم إليها النادل و بدون كلمة وضع أمامها كوب البابونج.. نظرت إليه بطرف عينيها قبل أن تترك ما بيدها و تلتفت بجسدها إليه باحثة بعنيها عن خالد فلم تجده.. زفرت و عادت إلى اللاب توب تعيث به و هي ترشف من كوب البابونج .. دقائق و شعرت بالهدوء و إرتخاء الأعصاب.. رفعت يدها عن الأزرار و نظرت للكافيه متأملة رواده.. لاحظت خالد الذي يعمل في نطاق بعيد عن طاولتها.. قدم المشروب لطاولة بعيدة و إلتفت ليجدها تشير إليه كي يحضر لها...

تقدم خالد متردداً فقالت فودكا:

- إيه يا أبو قمصة إنت زعلت؟

قال خالد بصوت جاد:

- لأ يا فندم حضرتك عندك حق.. إنتي عميلة في المكان و أنا شغال فيه و مكانش لازم أتدخل..
- و الله!.. أقعد يلا..

نظر إليها لائماً فقالت:

- أقعد يا ض بقي ميفاش قلبك خفيف..

جذبتة من يده ليجلس في الكرسي المقابل لتقول هي:

- زعلتك أوي هزعلك في رجولتك دي؟
- يا فودكا ما هو...

قاطعتة بحماس:

- ببسسس.. اللهم صلي عالنبي.. ما إنت بتعرف تقول فودكا من غير أستاذة و مدام و ناظرة و حضرتك أهوه.. أنا قولت دة الأبديت بتاعك..

ضحك خالد فقالت:

- قوم يا عم و متزعلش... بس إياك أسمع أستاذة دي تاني.. مش إحنا صحاب؟
- أيوة
- خلاص بقي مفيش بين الصحاب ألقاب.. خربش عالكلام..

تعالث ضحكته فقالت:

- بقولك إيه هو آخر مرة هادي جيه فيها كانت إمتي؟
- أستاذ هادي بقاله قرب الشهر مجاش ..
- تاني يا عصام! أستاذ هادي تاني!
- عصام مين؟
- لأ إنت إسرح عشان أنا بقفل من اللي مبيفهمش قلشاتي... قولي.. موبايلى فين؟

إنتبه متذكراً:

- آة صح دة هنا من آخر مرة.. أنا فضلت محافظ عليه مشحون عشان لو هتتصلي عليه أي وقت..
- عيب عليك يا خلودة.. أنا ماشية و عارفة إنني سايباه في مكاني و هرجع ألاقيه.. متشكرة يا رجولة..
- لا شكر على واجب يا أستاذ...

قاطعتة بنظرة فقال مصححاً:

- يا فودكا.

إبتسمت قائلة:

- طب هاتھولي و هاتلي بابونج تاني عشان مولعش في الكافية كله...

إنصرف ملبياً طلبها فنظرت فودكا إلى الفتاة التي تشاجرت معها و هي تجلس على طاولة أخرى منشغلة في قراءة رواية فنهضت تاركة طاولتها و إتجهت إليها.. حاولت رسم ابتسامة على وجهها ففشلت و إستسلمت للغضب الذي يحتله .. توقفت أمامها قائلة:

- إنتي يا بنتي..

رفعت الفتاة رأسها لفودكا في إهمال فقالت فودكا:

- متزعلش أنا بس מבحبش أقعد غير على ترابيزتي..

قالت الفتاة بلامبالاه:

- المرة الجاية إبقى إكتبي عليها إسمك..

حاولت فودكا عدم حش رأسها أو مسح رأسها في أرضية المكان فقالت:

- بصي يا بنتي إنتي ملكيش دعوة.. أنا بس الدنيا مش متظبطة معايا و متعصبية و معلش إنها جت فيكي..

و دون أن تنتظر رد فعل إلتفت عائدة إلى طاولتها فقالت الفتاة:

- إسمي إيلين...

إلتفت فودكا إليها قائلة:

- و أنا فودكا..

- إسمك فودكا؟

- أيوة

- إسمك جميل

- فعلا؟!

إرتسمت ابتسامة خفيفة على وجه فودكا و عادت إلى طاولتها.. جلست على كرسيها و فتحت الابل توب.. إبتسمت مرة أخرى لتسمع صوت إلين قائلة:

- إيه بقى الحلو في الترابيزة دي و أنا مخدتش بالي منه؟

رفعت فودكا بصرها لتجد إلين تقف أمامها مستندة على الكرسي بكفيها فقالت فودكا:

- بصي يا حبيبتي.. لو شايقة إن الموقف اللي حصل دة هيجلينا صحاب و ننزل نتقابل و نقعد على نفس الترابيزة دي تبقى غلطانة.. إنتي جديدة في توباكو.. روعي لأي حد جوة حدود المكان و إسألني على فودكا..

إرتسمت الصدمة على وجه إلين و قالت معتذرة:

- أنا أسفة مكانش قصدي .. أنا بس كنت جاية أسألك عن..

- لا تسأليني ولا أسألك يا بنت الناس.. أنا بقعد هنا عشان أصفى دماغي متجيش إنتي توجعيهالي..

نفضت إلين رأسها عدة مرات و تراجع خطوتان قبل أن تعود لطاولتها و هي تضرب كفاً بكف، نبتت دمة في عين فودكا خطفتها بكفها مسرعة قبل أن يلاحظها أحد ، لكن هناك على تلك الطاولة البعيدة.. كان هناك من يلاحظ.. كان هناك من يراقب بحرص.

فتح هادي الباب مبتسماً بين جروحه فالتفت إليه الضابط مبتسماً و إنتبهت بعض الرؤوس الفضولية.. ما إن رآه هادي حتى إتسعت إبتسامته مؤدياً التحية العسكرية.. كان ذلك الشرطي صديق والده و تلميذه .. شاهد هادي من اللحظة الأولى.. يملك معه ذكريات طفولة ليست بالقليلة.. مد يده بالسلام و إحتضنه متألماً من جروحه و فرط الحنين لفترة غابت عنه.. دعاه للدخول فتقدم بضعة خطوات داخل الشقة و عيناه تدور في المكان متذكراً و هو يقول:

- الشقة متغيرتش خالص..
- محبتش أغير حاجة فيها عشان تفضل ريحتهم و ذكرياتهم فيها..

إبتسم و هو يجلس على الأريكة قائلاً:

- ربنا يرحمهم.. ها يا بطل قولي.. أخبارك إيه؟
- و الله كله تمام يا عمي الحمد لله.
- يابني القفلة على نفسك وحشة.. أنا معاك إن فراقهم صعب.. بس دة عدى سنين يا هادي و إنت لسة في عز شبابك ، متضيعش عمرك عشان السنين دي مش هتقدر تعوضها.
- مهو أنا كل فترة كدة بنزل أقعد في كافيه كدة أغير جو.
- لأ اخرج و اتعرف على صحاب و حب و إتجوز و إشتغل.. عيش يا هادي.
- هحاول يا عمي و الله.
- و انا عمك زي ما بتقول يا هادي.. لو إحتاجت حاجة في اي وقت كلمني من غير ما تفكر .. انا اة ليا ولاد اخواتي لكن فعلا ربنا يعلم معزتك عندي. إنت مش ابن استاذي و رئيسي و اخويا الكبير.. إنت إبنني .
- أنا عارف يا عمي.. ربنا يخليك ليا و ميحرمنيش منك يارب... قولي صح.. إنت لابس ميري و الناس ملمومة.. إنت جاي في شغل ولا إيه؟
- لأ دة أنا كنت في زيارة رسمية هنا في المنطقة قوت أعدي عليك و الناس إتخضت لما لقيتني داخل كدة.. قولي بقي...مين اللي عمل فيك كدة؟

نسى هادي تماماً أمر الجروح و الضمادات، يعلم تمام العلم أن أي حجة لن تخيل على ضابط مخضرم مثله فأجاب بدون تردد:

- شوية عيال طلوعوا عليا ضربوني و سحلوني و خدوا مني الفلوس اللي كانت معايا.. لولا واحد معدي بتاع عيش لقاني مرمي الصبح جمب الرصيف مش قادر اتحرك مسابنيش لحد ما اتأكد اني بقيت كويس

إتسعت عيناه صدمة و دهشة قائلاً:

- و مكلمتنيش إيه؟
- إنت عارف اني مبشيش بتليفونات.
- يابني ما هو دة مينفعش.. خلي الموبايل للطوارئ حتى .
- إنت عارف إني مبجبهومش.. سيبك مني أنا بقيت تمام.. تشرب ايه؟
- يا عم إنت قادر تقف.. أقعد و انا هقوم اعملنا.

نهض الضابط فوقف هادي ممسكاً بيده:

- يا عمي لأ والله ميصحش..
- يابني اقعد أنا عارف البيت دة حنة حنة قبل ما انت تدخله.. و بعدين انا مش ضيف.. ولا انت معاك شقاوة جوة مش عايزني اشوفها؟
- لا طبعا يا باشا و بعدين انت مش محتاج تدخل عشان تشوف.. لو في حاجة جوة انت هتعرفها من و انت عند باب العمارة.

ضحك و هو يتحرك للمطبخ لتصتدم أنفه برائحة القمامة التي بجانب بابه.. قمامة رائحتها غريبة و مقززة.. فيها رائحة مألوفة لكنها بعيدة تمام البعد عن الروائح العادية لتلك الأشياء.. وقف ناظراً لها و للسائل الذي تسرب منها و ترك بإهمال حتى جف تاركاً بقعة على الارض.. منظر غريب جداً على شقة بتلك الترتيب و النظافة!.. تحرك محاولاً ترد الفكرة من رأسه و إسكات حسه الأمني و قام بتحضير كوبي قهوة و كل خمس ثوان يجد عينيه على كومة القمامة الشاذة تلك حتى إنتهى من تحضيرهم و عاد إلى هادي و عيونه تمسح الشقة مسحاً.. مسحاً ليس بعين صديق قديم.. بل بعين ضابط شرطة مخضرم!

وضع الصينية على المنضدة و جلس على طرف المقعد فقال هادي:

- قولي بقى زيارة إيه اللي تخلي القائد بنفسه ينزل يتابع؟

زفر و عاد بظهره قائلاً:

- و الله يا هادي الموضوع كبير.. القضية المرة دي كبيرة جداً و ليها فروع كتير أوي و مخلية الجهاز كله مبينامش
- قضية إيه خير؟

نظر الضابط إلى كومة القمامة و نظر لهادي قائلاً:

- لما يبجي قتها هحكليك.. لكن اقدر أقولك إن الموضوع أكبر من قضية إبراهيم السمّاك
- ابراهيم السمّاك!
- لعب عيال جمب القضية دي.. الموضوع مرعب فعلاً .
- طب في حاجة تقلق؟
- مخبيش عليك كل حاجة فيها تقلق..
- طب و العمل؟
- الجهاز كله شغال و متعاون مع أجهزة كتير .. محدش بينام.
- يا مسهل.. مفيش حاجة تصعب عليك يا باشا.

نظر لكومة القمامة قائلاً:

- محدش مبيغلطش يا هادي يابني.. و في ناس غلطتها بتبقى اصغر من انها تتلاحظ.. لكن عندنا كفاءات كتير مهمتها تلاخط اصغر الأخطاء ..

نهض قائلاً:

- المهم أستأذن أنا..
- ما لسة بدري يا عمي.
- معلش إنت عارف بقى ان وقتنا مش بتاعنا.. و انا هعدي عليك كام كمان كام يوم كدة ان شاء الله.
- أكيد ولا بتعمل زي أيام أبويا؟

- نظر مجدداً لكومة القمامة قائلاً:
- لا، أنا أكيد جاي.

أدخل رأفت المفتاح في المزلاج و أداره ثم دلف بهدوء و أغلق الباب برفق، تسحب ليجد زوجته جالسة في الشرفة و وجهها للشارع و بجانبها راديو يخرج منه صوت أم كلثوم بأغنية (لا نوم ولا دمع) فتسحب للمطبخ و حضر كوبين من الشاي واضعاً في كل كوب ورقتي نعناع و تمشي على أمشاط قدميه حتى وصل للشرفة، إبتسم حين رآها تتأنب فقال لها:

- في واحدة تبقى زي القمر كدة و هي بتتاوب؟

إنتفضت و إلتفتت له فوجدته ممسكاً بالأكواب فقالت:

- و في حد زي القمر يفاجئ مراته بالعظمة دي؟
- عظمة إيه دول كوبايتين شاي بالنعناع!

أمسكت بالكوب و وضعت قبلة على وجنته قائلة:

- الشاي بالنعناع من إيدك في الجو دة مع صوت أم كلثوم عظيم جداً.

إحتضنها بيد واحدة و قتل رأسها قائلاً:

- هو إحنا نهارنا فل ولا حاجة؟
- لأ يا أخويا النهاردة مش فل و إتلم.
- أتلم إيه ما أنا جوزك.
- إيه دة بجدا!
- إيه دة إنتي محدش قالك؟
- ولا جابولي سيرة.
- طب ما تقولييهو مش إني قولتك بقي.

طرقت بقدمها الأرض و أدت التحية العسكرية قائلة:

- تمام يا فندم.

ضحك رأفت و مد يده لها لتتعلق في ذراعه و يخرجها للشرفة في الهواء.. لاحظ عليها أنها تريد أن تخبره شيئاً، حسناً فليدعي أنه أبله و لن يلاحظ.. يعشق شقاوتها و دلالها حين تكون متحمسة.. ظلت تلمح كي يسأل و ظل يتجاهل حتى قالت:

- بقولك إيه يا رأفت، مش عايز تخش الحمام؟
- إيه دة!
- مش عايز تدخل كدة تغسل وشك و إيدك و تغير هدومك من تعب الشغل؟ أو أقولك خش خد دش سخن كدة يروق أعصابك.

إبتسم و غمز لها بخبث قائلاً:

- يعني النهاردة فل زي ما قولت.
- يا عم فل و كل حاجة بس خش بقي متبقاش غلس..

قالتها و هي تدفعه برفق للداخل.. تحرك معها و هو يضحك قائلاً:

- طب و أنا هدخل لواحد؟
- يا عم أنا جاية وراك بس إنت إدخل.

و دفعته حتى أصبح بداخل الحمام و أغلقت الباب خلفه.. وقف هو لا يدري ما يحدث .. إنتظرها عدة دقائق لكنها لم تأتي.. بدأ يشعر بملل و هو لا يفهم شيئاً، طرق على الباب فقالت:

- شوقتها؟
- شوقت إيه يا حبيبتي؟

زفرت بخيبة أمل قائلة بعصبية:

- بص عالمراية يا رأفت.

نظر رأفت للمرأة فوجد كلمات مكتوبة عليه بأحمر الشفاه.. مكتوب (بابا.. أنا في الطريق)...

لم يكن لشخص أن عادي أن يخطئ معنى الجملة.. لكن رأفت ضابط الشرطة لم يفهمها.. أو لم يصدقها.. طرق طرقتين على الباب لتفتح له و دموعها على خديها.. رأت عيناه التي تتسع دهشة و عدم تصديق قائلاً:

- هو اللي جوة دة معناه إنك...؟
- أنا حامل.

ضحكت و دموعها تحررت و هي تقفز في حضنه الذي ما إن دخلته حتى رفعها من الأرض و دفن رأسه في كتفها مدمع العينين.. ظلت في حضنه بضعة دقائق قبل أن تقول:

- أنا مبسوطه أوي يا حبيبي.

حاول رأفت السيطرة على دموعه لكنه لم يستطيع.. فربت على حضنها بقوة أكبر لتبتسم هي براحة.. أنزلها و نظر في عينيها قائلاً:

- هتبقى أم عظيمة.

يجلس هادي في أحد كافيها ستي ستارز مول المكشوفة، حرص على أن تكون المقابلة الأولى مع علي في مكان مكشوف مزدحم مراقب بالكاميرات لأنه لا يثق به.. و لماذا يثق به؟ إن سهولة قبوله بإنسحاب هادي تثير الشك إبتلع أفكاره بالقهوة و هو ينظر لساعة يده في توتر.. لماذا يمر الوقت كالسحابة حين تنتظر .. وقوع البلاء أهون من إنتظاره حقاً.. دب الشك في قلب هادي حين رأى ذلك الشاب على الطاولة البعيدة و هو ينظر له كل دقيقتين.. شاب يبدو انه في منتصف العشرينات.. يرتدي تي شيرت أخضر و نظارة طبية.. على الطاولة أمامه رواية لم يتبينها هادي لكن تظهر للعيان انها جديدة تماماً.. يمكن أن تكون نوعاً من التمويه.. راقبه هادي جيداً و بدأ يحلل .. يتلفت حوله كل بضعة دقائق ليلمح هادي و يلمح الابواب من حوله.. لا يوجد هاتف أمامه على الطاولة.. قدمه تهتز في توتر و أصابعه تطرق خشب الطاولة.. حين إلتقت عينه بعين هادي أشاح ببصره و حرك أصابعه على أذنه يلملم خصلة شعر غير موجودة بسبب رأسه الحلق.. و منذ إلتقاء العين حرص ألا تعبر عيناه على الركن الذي يجلس فيه هادي.. و كل دقيقة يحك أنفه .. و بدأ يتصبب عرقاً.. حسناً الإحتمال الأكبر أن يكون علي.. و هذا سيجعل هادي بثقته الشديدة و إترانه مقابل توتر و ضعف علي له الكفة الراجعة.. و الفكرة منطقية إلى حد

كبير.. إن كل من يتعاملون مع الأضرار أمام الشاشة ليس لهم شخصية في الواقع و مهزوزون جداً.. لكن إن كان علي فماذا ينتظر؟

شعر هادي بيد خبطت على كتفه و حين لف رأسه ليرى من فعل هذا كان الشخص قد دار حول الطاولة و جلس في المقعد أمامه.. ثلاثيني انحسر الشعر عن مقدمة رأسه.. يرتدي نظارة طبية عريضة.. يرتدي قميصاً أخضر مفتوح الصدر انحسر عن سلسلة تحمل وجه أرنب!... إبتسم بسخرية حين لاحظ وجه هادي المرتبك قائلاً:

- إيه يا عم هادي مالك! كنت فاكّر إني مش جاي ولا إيه؟
- علي!
- لا يا عم مفيش علي ولا حاجة إن شاء الله.. أنا خالتك زبيدة
- ...
- هو إنت جاي تقابل حد غيري ولا حاجة؟
- لا بس..
- أنا فاهم إنك لسة مش مستوعب سهولة إني أستسلم لإنك عايز تبطل، دة حقك.. و أقولك على حاجة؟ إمسك..

وضع يده على الطاولة و سحبها تاركاً قرص مضغوط من أقراص الكمبيوتر.. نظر له هادي ثم سأله دون أن يمد يده:

- دة إيه؟
- دي فلاشة عليها كل سورسات فيديو هاتك.. يعني أنا كدة بسلمك كل الدلائل اللي عليك.. فأنت مش مضطر تحس إني بهدك أو إنك مجبر..
- بالبساطة دي؟
- أيوة.. طب أقولك على حاجة كمان.. أنا لما بعثتك السي دي اللي عليه فيديو لي لي مكانش عشان اهدك.. لكن عشان اوريك أنا قوي لدرجة إني أقدر أوصل لإيه.. عشان لما أقولك إني عايزك في شغل تعرف إني ضهر ليك.. مش العكس..
- طب و بعدين؟
- لأ السؤال دة ليك إنت.. و بعدين؟ هتعمل إيه؟ هترجع تعمل لي لي؟
- هقعد فترة إصلاً مش هعمل حاجة.. محتاج أرتاح شوية.
- لأ..
- لأ إيه مش فاهم؟

إعتدل علي في مقعده و نظر لهادي بتحدٍ قائلاً:

- لأ يا هادي إنت مش هترتاح، إوعى تكون فاكّرني مش فاهم إنت بتعمل إيه؟ هادي إنت كل ما تبعد عن الموضوع دة بتتجنن، عقلك بيشت، في أصوات في دماغك بتبدأ تعلّى، مبتقدرش تستحمل دماغك ولا إحساسك.. فأنت عشان تهدي بتعمل كدة.. لمعة السلاح و منظر و ريحة الدم هما اللي بيهدوك و بيخلوك قادر تكمل.. خوفهم و ألمهم و طلبهم للرحمة هو اللي بيخليك تحس بالمتعة.. نظرة الضعف في عينهم هي اللي معيشاك.. فمتكدبش عليا عشان أنا كنت صريح معاك من الأول.. إنت هترجع تعمل لي لي و بسرعة.. و مجهز ضحيّتك الجاية كمان.. صح؟

مع كل كلمة كانت تتسع عيني هادي ذهولاً.. قطع شروده علي قائلاً:

- أنا عندي متعة تانية خالص.. متعة الفرجة.. محبش أوسخ إيدي ولا أنفد.. أنا بتاع زراير بس.. لكن مكنتش بقدر أستحمل أشوف الأطفال و الناس اللي مخطوفين و ملهوش ذنب دول بيتعمل فيهم كدة من غير ذنب.. خلينا نقول إن كل واحد عنده ذنب يستاهل الموت عليه.. محدش ضيف 100% لكن ذنب عن ذنب يفرق..

- طب .. إنت طالب مني إيه؟
- أنا عايز فعلاً المصلحة العامة.. إنت و توصل لمتعتك مع ناس تستاهل دة.. و أنا و أمارس متعة المشاهدة مع ناس تستاهل دة.
- طب .. عايزني.. أعمل.. إيه؟
- هنكمل، بس بطريقتك.
- إزاي؟
- هوصلك ليهم برة الريد روم.. و إنت إتعامل بطريقتك.. عايز تقابلهم بلي لي.. بالأرنب.. بوشك العادي.. براحتك.. و قبل كل مرة هبعثلك الدليل على إنه شخص يستاهل.. تمام يا عم؟
- و المقابل يا علي؟
- الكاميرا اللي هتنقلي أنا اللي بيحصل.. بس
- ...
- خد وقتك و فكر يا هادي.. بس أنا عايز أقولك حاجة.. أنت مش متضاير توافق و مفيش أي وسيلة ضغط عليك.. لكن إنت عارف إنك مش هتبطل.. و أنا مش هبطل.. و الناس دي مش هتبطل.. الموضوع مكسب عام.
- إنت عندك حق بس ..
- متردش عليا دلوقتي.. خد وقتك و رد عليا وقت ما تتأكد من اللي عايز تعمله.. و أنا أثبتت حسن نيتي و جيت و قابلتك و كمان سلمتك الفيديوهات.. يعني إنت مفيش أي ضغط عليك و أياً كان قرارك أنا هحترمه.
- ماشي يا علي.. هأخذ وقتي و أرد عليك.
- و أنا هبقى مستنيك. لكن أنا دلوقتي مضطر أمشي عشان مش متعود أبقى برة اوضتي أصلاً.. لما توصل لرد إنت عارف هتوصلي إزاي.

الفصل السابع

توقفت سيارات الشرطة أسفل البناية بحي باسوس، مبنى صغير من ثلاثة طوابق ملقى بين المباني المترامية، هبط رجال الشرطة بقيادة (رأفت) بين أعين الناس المتسائلة و الفضولية و القلقة، تقدم رأفت و من بعده القوة إلى الدور الثاني بخفة و هدوء، توقف رأفت أمام الباب و من بعده أحمد و إنتشرت باقي القوة على الدرج بالثلاث طوابق، طرق رأفت الباب شاهراً مسدسه.. ثوان و سمع حركة خافتة بالداخل ثم فتحت سيدة أربعينية بملابس المنزل.. أشار رأفت لها بأن تصمت و تحرك هو و أحمد و بضعة عساكر داخل المنزل.. دلف رأفت إلى غرفة النوم فوجده نائماً، نغزه بمسدسه عدة مرات ليفتح عينه و يصندم بما يحدث.

خرج رأفت من البداية ممسكاً به بعد أن قيده بالأصفاد ، دفعه إلى مؤخرة السيارة و صعد بجانبه عدة عساكر و دلف رأفت في المقعد الأمامي بجانب السائق.. إنطلقت السيارة مطلقة البوق المميز لسيارات الشرطة و رأفت مبتسماً لإنتهاء القضية.

يجلس هادي في غرفة مكتب فخمة ديكورها أشبه بغرف منزله.. يرتشف من كوب قهوته و يراقب تلك الشاشة الكبيرة، الشاشة التي تعرض كافيته توباكو بالكامل من ثلاثة زوايا ليست علوية كباقي الزوايا، بل من أماكن خفية في الجدار و البار و على منضدة ما في زاويته، يراقب شخص ما على طاولة ثمانية، شاب ثلاثيني متوتر يلتفت دائماً و ينظر في ساعته كل خمس ثوان، كلما دخل أحد الكافيه أو عبر أحد من جانبه نظر لوجهه متفحصاً... فتح هادي أحد أدراج المكتب و أخرج هاتفاً شكله مميز.. كأنه صنع خصيصاً لأجله، إستدعى رقماً من سجل المكالمات و ضغط زر الإتصال، ثوان و شاهد الجالس على الطاولة ينظر في هاتفه قبل أن يقبل المكالمة واضعاً الهاتف على أذنه:

- ألو؟
- إبت وصلت؟
- أيوة أنا قاعد في المكان أهوه
- حاول متخلّش شكلك مريب لحد ما أجي.
- ط طيب المكان هنا أمان!
- أمان متقلّش.. خمس دقائق و هقابلك.

لم ينتظر رده و أغلق المكالمة، أمسك بجهاز التحكم و أغلق الشاشة قبل أن يعيد الهاتف لدرج المكتب و يغلقه بالمفتاح، أمسك بفنجان الفارغ و خرج من الباب لغرفة تغيير الملابس الخاصة بكافيه توباكو، أغلق الباب بالمفتاح و إلتفت لخالد الذي يتناول شطيرة فقال و هو يناوله الفنجان:

- خلص البريك بتاعك و إنزل الصالة على طول عشان في ضغ شغل النهاردة.

لم ينتظر رد و خرج من غرفة مكتوب عليها لافتة للعاملين فقط ليصبح بداخل صالة الكافيه، رسم إبتسامة على وجهه و إتجه لطاولة رقم ثمانية، ما إن وجه الشاب يقترب ناظراً له نهض فجأة لتلتفت الرووس إليه فقال له هادي:

- يابني إيه اللي بتعمله ده إهدى!

فقال الآخر متردداً:

- لأ أنا تمام ، أنا بس مش متعود أقابل الزباين في كافيه و كدة.
- مقلّش الكافيه ده أمان ممكن نتقابل فيه.. المهم، الحاجة معاك؟
- في شنة العربية..

- طب حلو أوي.. تعالى نطلع مكان أمان نبدل فيه .. إسبقتني عالربية و هحصلك.

نهض الشاب غادر فأشار هادي لنادل و ناوله نقوداً فقال النادل:

- إزاي يعني يا أستاذ ها..

إقترب هادي منه و همس في أذنه مقاطعاً:

- إنت مرفود.

و مد خطواته حتى وصل للسيارة المتوقفة في رفاق جانبي تتوارى عن الأعين، يقف خلفها الشاب ينظر حوله حتى وجد هادي من خلفه يقول:

- أنا هنا.

إنفرض الرجل و كاد أن يلتفت لولا المحقن الذي إنغرس في عرقه السباتي بدقة و إحترافية شديدة ليسقط ليهوى الشاب بجسده على مؤخرة السيارة، ساند هادي و فتح حقيبة السيارة لتظهر طفلة لا تتعدى الغشر سنوات مقيدة و مكمة ما إن إنفتح الباب حتى صرخت ككمتها قطعة القماش التي في فمها و تلتف حول رأسها، دفع هادي الشاب بجانبها و أغلق حقيبة السيارة ثم دلف إظلي مقعد السائق، أدار المحرك و إنطلق.

أدار رأفت المفتاح في المزلاج و دخل بهدوء و هو يحمل أكياس إنتبعت زوجته من خشخشتها فركضت إليه و ألقت بنفسها في أحضانه ليترك الأكياس تسقط أرضاً و يحيطها بذراعيه الحانيتين، إقتحم أنفه عطرها التي تضعه في ليالاتهم الخاصة، إبتسم و قد بدأ يسترخي .. أراحها من بين يديه لكن يدها أحاطت برأسه ناظرة في عينيه و هي تقول:

- مبروك يا حبيبي عالقضية، إنتصار عظيم.

- ما هو وراء كل رجل عظيم بقى.

- توء، دة أنا ساعات كتير ببقى حمل عليك و بعطلك أو أنكد عليك و إنت في عز شغلك و برضه لا بتقصر معايا ولا بتقصر في شغلك.

- بتقولي إيه؟ حمل!... عارفة الحاجة الوحيدة اللي هتكوني حمل عليها هي إيه؟

- إيه؟

- رخامة المطبخ كمان خمس دقائق.

لكمته بخفة على كتفه و هي تشير إلى بطنها قائلة:

- يا جدع وطي صوتك الواد يسمع.

- ما يسمع.

و نظر لبنتها قائلاً بصوت عالي:

- ولا، خذلك يمين أو شمال كدة عشان المكان هيبقى مليان النهاردة.

لكمته في كتفه بقوة و إخراج و هي تضحك بينما إحمرت وجنتاها خجلاً من كلامه فقال:

- دة الحوار صحي و مفيد ليكي و للبيبي.

غمز لها و هو يقول:

- و أنا يهمني مصلحتكوا.

نظرت له نظرة خليعة و قالت:

- مصلحتنا برضه!

- و الله الموضوع متوقف من بدري و لازم نلحقه.

تسائلت:

- متوقف على إيه؟

- لأ هو متوقف من إيه مش على إيه؟

حركت عينيها لأسفل قليلاً و ضحكت حين فهمت ما يقصد لتقترب منه حتى تلامست شفاههم ثم تداخلت.. وضعت يدها على صدره فوجدت قلبه يركض بسرعة و صدره يعلو و يهبط فأخذت تسحب يدها لأسفل حتى وصلت إلى ما أسعده لمستها عليه فضمها إلى صدره و رفعها متجهاً للمطبخ.. وضعها على لوح الرخام بعض أن أزاح بيده ما عليها ليسقط برطمان الدقيق و تنتشر نثراته عليهم و على الأرض بينما هو يأكل شفتيها في نهم و هي تلعق شفتاه بينما يديها تحرر أزرار قميصه و يده تحرر صدرها من قيدهم قبل أن يسمع رنين هاتفه فأخرجه من جيبه دون النظر و ألقاه في الأرض بقوة فتفككت أجزائه لتضحك شفتيها من بين شفتيه.

تقدم هادي خطوتان متفحصاً ليجد أن عيني الشاب الحرك في محجوبيهما و هم مغلقان.. قرب يديه بمنديل يحمل رائحة نفاذة ما إن تسربت إلى رثتي الشاب المقيد حتى شهق بقوة جذباً للأنفاس، حين إستعاد الوعي بدأت عينيها تدور في المكان محاولاً الإستيعاب. مكان قديم يبدو أنه تم هجره منذ زمن، ثلاثة مقاعد خشبية مثبتة في الأرض، على الكؤسي الأول يجلس هو مقيد بحبال غليظة عطلت جسده عن إبداء أي رد فعل، على يمينه جلس هادي على الكرسي الثاني في هدوء ناظراً بتحفظ له، و على الكرسي المقابل للأول جلست الفتاة الصغيرة بقيدها و ملابسها المتسخة تنظر له بنظرة ثابتة، حين إستوعب الموقف قال لهادي برعب:

- طب مقولتليش شليه إنك ليك في الشباب برضه كنت عملتلك عرض حلو.. إنت فكني و أنا نص ساعة و هتلاقيني جاي مع شاب مستعد يمضيلك إنه موافق على كل حاجة هتعملها فيه حتى لو وصلت لموته.. و مش مخطوف.. كله برضاه.. العيال دي في منها كتير دلوقتي و أنا بتعامل معاهم من فترة.. إنما انا مش كدة.. أنا بس راجل بياكل عيش... إنت بتبصلي كدة ليه؟

نهض عادي و على وجهه أعتى علامات الشر و الزفر.. نظر للفتاة التي تنتظر للموقف بتقزز و شماتة ليتجه هادي إلى ركن لم يصله الضوء الخارج من اللبة الصغيرة المتهالكة و عاد يحمل في يده سكين كبيرة ما إن رآها الشاب حتى صرخ و هاج بهستيريا لكن هادي أمسك بشعره جاذباً رأسه للخلف كاشفاً عن رقبتة، وضع عليها السكين و نظر للفتاة لتحرك الفتاة رأسها بالرفض.. و أشارت أن يتجه للأسفل.. ترك هادي رقبتة و إلتف حوله وضع حد السكين على صدره ناظراً لها لتعلن رفضها ثم تشير إلى الأسفل.. نظر لها في إستغراب قبل أن يشير إلى بين فخذيه فأبتسمت الفتاة و هزت رأسها و هي مغمضة عينيها بالموافقة ليصعد الدم في رأس هادي و يرفع يده بالسكين في الهواء ثم يهوي بها ليقطع له حاله و تنفجر الدماغ و يصرخ الشاب بصوت رغم إزعاجه إلا أنه أسعد الفتاة كثيراً و أمتع هادي الذي إحتضن رأسه بيسراه قبل أن يخترق صدره بالسكين ثم يخطف عنقه بها في أقل من ثانييتين لتنفجر الدماء لتغطيهم سوياً بينما ملامح المتعة تظهر على وجه الفتاة التي قفزت عدة قطرات إلى وجهها.. نظر لها هادي و هو مستمتع من منظرها، هناك فتاة شهدت رد حقها بل و تحكمت فيه، فجأة نبت في

عقله ذكرى خاطفة لطفل يرتدي تي شيرت أخضر يحمل حرف F باللون الأحمر.. سقف ممسكاً بجاكوش يقطر دماً مع وجهه و ملابسه، لم يتمالك هادي أعصابه ولا الصداق الكافر الذي ضرب رأسه ليهوى على ركبته ثم يسقط أرضاً بين الدماء

سحب رافت يده إلى فمه يتذوق العسل في متعة حقيقية، العرق مختلطاً بالعطر جعل الرائحة زكية مثيرة، وجهها الذي لمعت بشرته و عيناها المرهقتان تأوهاتهما التي تخفت تدريجياً حتى بعد أن إنتهت المعركة، أنفاسها العميقة و صدرها الذي يعلو و يهبط كمن ركضت شهراً، أصابعها التي تلامس أصابعه و يده التي تربت على كتفها ، يده الأخرى على ظهرها تتحرك بلطف و رأسها على صدره تسمع ضربات قلبه العالية المتسارعة، خطرت في رأسها فكرة فقالت:

- نسميه نادر...
- نادر!

بنفس نتهدج متعب قالت:

- هو.. هيجي بعد ما... بعد ما تعبنا و قطع... و قطع نفسنا.. و عشان.. لو ربنا مكرمناش بعده بأخ أو أخت.. يبقى هو نادر.

يعلم أنها ستغير رأيها عندما تستفيق من سكرات المتعة فقال لها:

- طب لو بنت؟
- غالية.

نطقها دون تفكير ليبتسم قائلاً:

- ماشي يا أم غالية.
- ****

رائحة الدماء تغزو رئتيه، فتح هادي عينه ليجد نفسه ملقى على الأرض، الفتاة إختفت و كذلك الشاب، معالم المكان تغيرت، لا توجد نقطة دم واحدة في أي مكان.. تسربت إلى أذنه نغمات أغنية Cool Hearted Women .. أغمض عينيه بقوة ليحاول تذكر و إستيعاب ما حدث ليسمع صوت يعرفه جيداً:

- إيه يا هادي مالك.. لسة بتجيك فلاش باكس؟

فهم هادي الموقف منذ سماع الكلمة الأولى فقال:

- عمري ما كان هيجي في دماغي إنك إنت اللي ورا اللي حصل دة يا عم.
- وحشتني و قولت أشوفك.
- إنت خرجت إمتي أصلاً؟
- من 3 شهور بس كنت باخد لفتي و قولت أسأل عليك.
- طب و أنا هفضل مربوط كدة، ما تيجي يلا يا ابن ديك الكلب تفكني عشان أعرف أحاسبك.
- لااااا، منخشش على شغل بعض الحساب دة بتاعي أنا..
- ماشي يا عم المحاسب فكني...

تقدم الشاب ذو التي شيرت الأصفر الذي يحمل بطاقة من خلف مقعد هادي و سحب عقدة واحدة من الحبل لينفك الحبل كله، نهض هادي و إلتفت له قائلاً:

- محدش غيرك عنده القدرة يعمل كل دة بالسرعة دي.
 - لا عيب عليك أخوك سندال.
 - اااااااااااااااااااا، أهوه دة اللي كنت خايف منه من قاعدتك جوة، أدبهم لعبوا في لسانك.
 - No one could to do It dude
 - لا ما هو باين بإنجليزي السمكرية دة.
- ضحك الإثنان بصوت عالي و أحضتنا بعضهم في حنين و إشتياق حقيقي قبل أن يقول هادي:

- وحشنتني يا سايكو.
- متشوفش وحش يا عم، إيه كل اللي عرفته عنك دة؟
- هبقى أحكيلك
- و تحكيلي ليه ما أنا عارف كل حاجة
- آة دة إنت صح

أخرج سايكو من جيب بنطاله مصاصة و وضعها في فمه قائلاً:

- إنت فككت منك عالآخر يا هادي..
- ما تعدل أم لسانك عشان أنا حاسس إنني قاعد مع رد سجون.
- و هو أنا رد مطلقة؟

ضحك هادي قبل أن يقول:

- دة على أساس إنك مكننش قادر تخرج من جوة في أي وقت، دة أصلاً أنا مش فاهم إنت سببتهم ياخدوك إزاي أصلاً؟
- أبداً يا سيدي كان عندي حساب بلمه جوة..

نظر هادي لملابس سايكو قائلاً:

- إنت لسة بتلبس التشيرتاية دي؟
- أهوه من وقت للتاني كدة.
- هتخلي عن دور الناصح عشان عارف إنك متخلف.
- حصل و أنا شاهد.
- جاي ليه؟
- عشان ألحقك.. في حد يقع الواقعة دي قدام البيت؟
- شكلها و على وشها الدم دة فكرني بالذي مضى.
- يا عم فكك و عيش.
- إنت محتاج تتخلي عن دور الناصح إنت كمان عشان مش لايق عليك.
- إيه دة فعلاً؟ مع إنني كنت بتدرب عليه كتير جوة.
- ممثّل فاشل طول عمرك...

قضم سايكو المصاصة و أعاد العصا البلاستيكية إلى جيبه قائلاً:

- يا عم فكك.. أنا عندي خبر حلو ليك.
- حلو! يبقى ربنا يستر.
- أنا جاي أقتلك....

- إحكيلي...
- جالي عرض أدور عليك و أوصلك و أقتلك و أجيب إثبات إنك إنت نفس الشخص المقصود مقابل 8 مليون...
- مصري؟
- هو أنا برضه بتعامل بمصري؟
- طب يابن العبيطة إزاي هتفوت الفرصة دي؟ أنا إزاي عايش أصلاً؟
- متقلش هيجي وقت و أقتلك ، بس مش عشان فلوس، عشان مش طايفك.
- أصيل يا أبو رحاب، و هتعمل إيه؟
- نبهتك عشان تاخذ بالك من الورق اللي بتسبيع في كل مكان و انا ماشي بلمه من وراك.
- ماشي يا عم تسلم يا أبو الصخاب.
- حبيب أخوك.

و تمشى سايكو واضعاً يديه في حيوب بنطاله دون كلمة أخرى، ظل هادي يراقبه حتى إختفى في الظلام فقال لنفسه:

- أم البطة اللي إنت لابسها دي يا عم.

تجلس فودكا في الكافيه و تعبث على اللابتوب بتركيز ، عيناها تتحرك بسرعة على الشاشة و يصعد الدم إلى رأسها وهي تضغط بسرعة على عدة أزرار.. تفرد قامتها و تشد أعصابها و تقترب من الطاولة في حماس.. قبل أن ترخي أعصابها و تهوى على مقعدها في يأس، وجدت يد طرقت على الطاولة بصوت عالي فإنتفضت ناظرة للفاعل لتجده هادي، مبتسماً كعادته فقال:

- الأهلي خسر ولا إيه؟
- أهلي إيه يا عم دلوقتي..
- معرفش حسيت من شكلك إنك بتتابعي هجمة مهمة ولا ضربة جزاء..
- لأ مش ضربة جزاء.. دي كانت ضربة قاضية..
- خير؟
- مفيش خسرت فلوس كثير حالا في رهان.
- رهان؟ إنتي ليكي في المراهنات؟
- أومال أنا باكل منين يا عم هادي؟
- معرفش مقولتليش قبل كدة.
- فكك.. معاك فلوس؟
- عايزة كام؟
- 3000.

أخرج هادي محفظته و نظر بداخلها ، ثم نظر لفودكا قبل أن يمد يده لها بكارت فيزا قائلاً:

- إسحبي اللي إنتي عايزاه و هاتيها..
- ماشي.. مش هتديلي رقم تليفونك بقى عشان أكلّمك أديها لك؟
- المرة الجاية يا فودكا.
- يادي المرة الجاية.. لو معاكش تجيب تليفون قولي هسلفك.

قالت جملةتها الأخيرة و هي تلوح بالكارت الخاص به فضحك قائلاً:

- أيوة انا عايز خمسين مليون دولار أمشي بيهم نفسي لحد أول الشهر.
- طب عدي عليا في المكتب بعد مواعيد الشغل الرسمية.

ضحك الاثنان فقالت:

- مين اللي خرشمك كدة؟
- متشغليش بالك.. إنتي اللي كنتي مختفية فين؟
- مختفية!.. أنا كنت مختفية؟
- أيوة قعدتي كتير متجيش و لما روحتك البيت قعدت أخبط محدش فتح!
- كنت في إسكندرية كام يوم.
- طب ما قولتيش ليه؟
- يا بني هو إحنا بنقول حاجة أصلاً.. أنا كل ما أسألك هشوفك تاني إمتى تقولي هنتقابل في توباكو...
- طب ما إحنا بنتقابل فعلاً.
- هادي هسألك سؤال و جابوب عليا بصراحة و تأكد إن الإجابة لو معجبتنيش ههينك...
- إيه دة في إيه؟ ما تسألني يا ستي!
- هو أنا آخر مرة أدائي معجبكش؟
- إيه؟!!
- يعني مكنتش عالمستوى؟ عملت حاجة قفلتك!
- إنتي إيه رأيك؟
- لأ أنا تمام. بس أنا من ساعتها حاسة إنك متغير معايا...!
- متغير إزاي؟

صمتت قليلاً في تردد قبل أن تقول:

- خايني أقولها لك بطريقة ثانية.. لو أنا قولتك تعالى أقعد معايا النهاردة عشان محتاجالك.. هتيجي؟

نظر لها هادي نظرة خاوية ثم قال:

- بصراحة... لأ.

إختفت إبتسامتها و إبتلعت نصف كوب البابونج دفعة واحدة قبل أن تغلق شاشة الهاتف و تنتظر لهادي قائلة:

- طب لو أنا فعلاً محتاجالك يا هادي؟ عايزة أقعد أتكلم معاك.
- لأ يا فودكا...

بهتت فودكا في لحظة و شردت تسترجع حياتها السابقة قبل أن تقول:

- إنت تعرف لو أنا زعلت هبقى زعلت ليه؟
- ليه؟
- عشان أنا اللي حلفت ما أدي لحد أي فرصة..

صمتت محاولة كتم دموعها فنهض هادي و جلس بجانبها ممسكاً بيدها و هو يقول:

- بصي يا فودكا.. إحنا متفقدناش على حاجة و كل حاجة بتيجي بوقتها و انا عاجبني كدة.. لكن ننطق و نخطط و نحتاج لبعض! لأ يا فودكا.. متدينينش دور كبير عليا أنا أكثر واحد عارف إني مش هطلع قده.

نظرت له كاتمة لدموع تجمعت على مقلتيها فقال:

- خلي كل حاجة تيجي صدفة و بوقتها.

جففت دموعها بأصابعها و هي تحاول التماسك و قالت:

- عندك حق، إحنا من الأول متفقين إننا منتفقس..

أكملت و هي تلملم حاجياتها:

- مش عايزة أسألك هقابلك تاني إمتى عشان عارفة إجابتك.

أمسك يدها و وقف ملاصقاً لها و قال هامساً:

- طب متمشيش... ممكن نقعد نتكلم هنا ولا لازم نتكلم في البيت؟

- مش عايزة أتكلم أصلاً..

ضمها و طبع قبلة على رأسها قائلاً:

- حقك عليا .. خلينا نقعد نتكلم هنا شوية..

إستكانت في حضنه ثم جلست فجلس ممسكاً بيدها قائلاً:

- أنا الدنيا ملخبطة معايا شوية يا فودكا و دماغي هتبقى مشغولة مش هعرف أسمعك بإنتباه كامل.. يرضيكي؟

- لأ بس كنت عايزة أحس للحظة إنني فارقة معاك!

- هو... إنتي فارقة معايا.. لكن مش بالطريقة اللي إنتي فاهماها...

صمت الإثنين دقائق لم يعدوها لكن كل منهم بداخله قدس تحترق.. خرجت فودكا عن صمتها مغيرة دفة الموضوع و قالت:

- تسمع أغاني؟

- أسمع

يجلس رأفت في مكتبه منهمك في كتابة التقارير ، سحب النفس الأخير من سيجارة وأدها في منفضة مليئة بالأعقاب، بدأت أصابعه تصرخ ألماً من الكتابة..

زوجته على الأريكة تشاهد أحد الأفلام قبل أن يتصاعد ألم خفيف أسفل بطنها، نهضت و تمشيت ذهاباً و إياباً في الصالة لكن الألم يزداد.. ماذا يحدث!.. ركضت إلى الحمام لتفرغ ما في معدتها و الوجع يشتد..

أنهى رأفت تقريره الأخير و أراح ظهره على المقعد رافعاً إياه أمام عينه بفخر.. سيحصل على ترقية و مكافأة بكل تأكيد.. و يمكنه حينها الحصول على إجازة طويلة يعوض زوجته فيها عن تقصيره المستمر..

فغر فمها حين رأت المد الأحمر المتسرب على فخذيهافنست الألم الذي يفتك بها و هرعت إلى الصالة تبحث عن الهاتف..

نهض رأفت ممسكا بالتقارير قبل أن يأد سيجارة أخرى و يخرج من المكتب متجهاً لمكتب اللواء مراد هاشم.. طرق عدة طرقات ثم دخل مبتسماً، حياه و جلس مناولاً له التقارير...

بدأت دموعها تنهمر و هي تبحث عن هاتفها في كل مكان و الألم يفتك بها...

نهض رأفت و غادر مكتب اللواء حاملاً التقارير في فخر، متمشياً ببطء في الطرقة المؤدية إلى مكتبه قبل أن يشعر بغصة كافرة في قلبه ليتوقف و يسقط من يده التقارير مبعثرة على الأرض، إتسعت عيناه و تهدج نفسه و صارع ساحباً الأنفاس .. خمس ثوان مرت عليه دهرأ قبل أن يستعيد أنفاسه ببطء بينما كسى العرق جسده

صرخت ممسكة ببطنها الماء و وجعاً و هي تفتش كالمجنونة على هاتف كان أمامها منذ لحظات..

أحمد خرج من مكتب رأفت يبحث عنه ليجده واقفاً في الطرقة ، هرول إليه و ساندته إلى مكتبه و ناوله كوب من الماء.. حين إستعاد رأفت أنفاسه و قدرته على الحديث سأل أحمد عما حدث ليقول:

- السفاح ...إنتحر في السجن!

لم يسمعها رأفت، كان باله مشغول بهاجس إنتفض على أثره ممسكاً بهاتفه ، ضغط عدة أزرار و وضع السماعة على أذنه، ثوان و سمع صوت صرخة زوجته فقفز من مكتبه..

صرخت مستنجدة بزوجها في الهاتف قبل أن تنهار فاقدة وعيها على أرض الصالة بين دماءها و دموعها و أحلامها التي سقطت بجانبها...

فتح رأفت الباب و من خلفه أحمد ليجداها ملقاه أرضاً و الدماء تخرج من بين فخذيهافأشاح أحمد ببصره و ركض لإحدى الغرف منتزعاً ملاءة من الدولااب و عاد لرأفت الذي حمل زوجته ليغطيها بها قبل أن يقفزا في المصعد ثم في السيارة..

فتحت زوجته عينيها و الألم يفتك بها لتجد رأفت على مقعد السيارة و رأسها على فخذها و يده تعتصر يدها في قلق، نظر لها و قال شيئاً ما لم تسمعه لكنها شعرت بالإطمئنان بين يديه و أغضت عيناها...

إقترح رأفت المستشفى و هي بين ذراعيه باحثاً عن طبيب حتى وجده، أخبره بكل ما حدث و هي على يديه تقطر دماً على الأرض، أتت الممرضات بالسرير المتحرك ليريحها عليه و يدفعوها إلى إحدى الغرف التي إنغلق بابها .. وقف رأفت في الخارج في نفاذ صبر و قلق يعتصر قلبه لتفر دمعة من عينيه لمحها أحمد فأقترب منه و ربت على كتفه قائلاً:

- إن شاء الله خير متقلّتش..

ثلث ساعة مرت عليه كمائة عام قبل أن يخرج الطبيب بمعالم وجه غير مبشرة فقال أحمد في لهفة:

- خير يا دكتور طمنا

- مين فيكوا جوزها؟

ليقول رأفت:

- أنا.. خير إيه اللي حصل؟

ضم الطبيب ضفتيه و قال بحزن:

- للأسف فقدنا الجنين.

إتسعت عيني أحمد بينما لم يبد على رأفت أنه سمع و هو يسأل:

- هي عاملة إيه يا دكتور؟

- هتكون بخير ، لكن للأسف هنضطر نستأصل الرحم عشان ننقذ حياتها.. يعني مرات حضرتك مش هيكون عندها القدرة تخلف ...

في ثوان نبتت الدموع على عين رأفت بينما وقف أحمد عاجزاً عن قول شيء، قال رأفت بنفس متهدج محاولاً التماسك:

- طب هي هتبقى كويسة؟

- هتبقى كويسة جسدياً، لكن حضرتك لازم تكون متماسك لأنها هتكون محتاجالك جداً الفترة الجاية.. موضوع الرحم خصوصاً هيكون مؤذي نفسياً جداً ليها.. أنا بس واجب عليا أقولك إن الخلفة دي رزق من عند ربنا، و لو ربنا مش كاتب إن يكونلكوا أبناء مش هتقدر تغير كدة مهما عملت.. ، و تأكد إن ربنا معوضك بحاجة قصاد كدة.. إنت بس تماسك عشان مراتك محتاجالك

تركه متخبطاً و عاد لغرفة العمليات، بينما أحمد ربت على كتفه مهوناً و قال:

- إنت راجل مؤمن و متماسك يا باشا، و زي ما الدكتور قال الرزق بتاع ربنا.. ممكن كمان تكفل طفل أو تتبناه.. ابن خالي عمل كدة و بسم الله ما شاء الله معاه أنس 14 سنة.

قال رأفت بصوت تحشرج و تعثرت حروفه و خرج من جوف بئر مهجور:

- أنا مش زعلان على الخلفة، أنا زعلان و قلقان عليها هي، هي الحاجة اللي طلعت بيها مالدنيا، و عارف إن أول طلب هتطلبه مني أول ما تفوق من حزن العملية إنني أطلقها..
- إنت بقي معاها حاول تبعد عنها كل الأفكار دي..

قال رأفت شارداً:

- ربنا يستر.

أدار سايكو المزلاج لينفتح الباب مصدراً صريراً عالياً، هبط درجات السلم بعد أن أغلق الباب ليجدها جالسة على المقعد هادئة كما تركها.. ترتدي فستان أبيض نظيف عاري الكتفين.. تعقص شعرها في قطنتين بأستك أحمر، نظيفة و مبتسمة على عكس المرة الأولى التي شاهدها فيها و على وجهها قطرات الدماء، إنها تلك الفتاة التي أنقذها هادي و إقتص لها أمام أعينها، مد يده في حقيبة ظهره و أخرج لها دمية باربي الشهيرة و وضعها على الطاولة التي أمامها، ثم أخرج سكين كبيرة تلك التي يستخدمها الجنود في الحرب و وضعها بجانب الدمية، إبتسمت له فقال:

- إختاري؟

ببطء مدت يدها و سحبت السكين لترتسم بسملة عريضة على وجه سايكو قائلاً:

- طب أنا عايز أعرفك على حد..

و نادي بصوت عالي جداً صم أذنها:

- سليبييم.

إنفتح الباب و هبط رجل أربعيني له هيبة، يتقدم بقدم و يسحب الأخرى مستنداً على عكاز فخم، توقف سليم بجانب سايكو فقال سايكو مشيراً له:

- أقدملك سليم، هيعلمك حاجات كتير ، لازم تسمعي كلامه في كل حاجة، ماشي؟

هزت رأسها موافقة فقال سليم:

- كان في إطباق قدامك فيها أكل؟

أجابت في هدوء و ثقة:

- كلتهم و غسلت الأطباق و رجعتها في مكانها..

- شاطرة ياااااا..... هو إنتي إسمك إيه؟

- سندس...

- من دلوقتي يا ندس و لآخر يوم في عمرك إنتي إسمك مش سندس و متعرفيش هي مين.. لا عمرك كنتي هي ولا سمعتي عنها.

- و هيبقي إسمي إيه؟

نظر لأعلى مفكراً قبل أن يقول:

- رافانا.

الفصل الثامن

في إحدى الغرف الحمراء ضحية مرت بالثلاث مراحل الأولى و مازالت حية، يقف شخص ضخم خضبت ملابسه بالدماء و هو يمسك المنشار و يقطع يد الضحية بينما هي تصرخ بطاقة إنعذمت، ظهرت على الشاشة رسالة من مستخدم vip تأمره بالتوقف ، ثوان و توقف الضخم قبل أن تظهر رسالة أخرى.. (إفتح الباب) ، أخذ الأمر منه ثوان ليستوعب هذا الطلب الغريب.. إتجه للباب و فتحه قبل ان يسقط أرضاً في مكانه، دخل رجل يرتدي بدلة و قناع أرنب ممسكاً بالمحقن الذي اخترق رقبة الضخم.. تحرك الأرنب في الغرفة ناظراً للضحية.. غرس المحقن في عنقها الدامي فبدأت تسترخي و تستكين قبل أن يذبحها رحمة بها.. فما حدث بها يؤكد أنها لن تنجو و إن حاول.. ثم رفع الضخم على الطاولة و أخذ يعبث بجسده بالأسلحة في متعة حقيقية قبل أن يحسم أمره و يرفع يده في الهواء بالسكين و يهوى بها على صدره ليسمع الطقطقات ثم يرى الفيض الأحمر قبل أن يتشم الرائحة المميزة له..

دلف هادي للسيارة و نزع عنه وجه الأرنب ثم أوصل خط شبكة المحمول بالهاتف و أجرى إتصال بعلي ليسمعه يصيح قائلاً:

- إنت قتلت البت ليه؟
- كدة كدة كانت هتموت إنت مشوفتش هي عاملة إزاي ولا إيه؟
- و أنت مال أهلك يا عم ، أنت داخل لهدف واحد.
- و الهدف من كدة إيه؟ مش عشان ننقذ اللي ملهوش ذنب!

تعالى صوت علي في غضب:

- و إنت كدة أنقذتها!
- مكانتش هتستحمل و كانت هتموت بس يعد ما تتعذب بوجعها و حزنها على نفسها.
- متتصرفش من دماغك ثاني يا عم بعد إذلك .
- خلصنااا يا عم علي، عايز إيه ثاني؟

صمت علي محاولاً التماسك ثم قال بنبرة هادئة:

- أنا بعثلك الجديد.

و أغلق المكالمة، أخرج هادي الشريحة من الهاتف و أدار محرك السيارة منطلقاً بسرعة جنونية..

تجلس فودكا على الأريكة و على فخذيها اللاب توب الخاص بها، تحرك أصابعها بسرعة على الشاشة و عيناها متسعة ذاهلة ناظرة إلى الشاشة، إنتفضت حين سمعت جرس الباب فنهضت بهدوء و تحركت بخفة حتى وصلت للباب فنظرت من العين لتجد هادي يقف بالخارج مبتسماً، عادت خطواته و وقفت تستوعب قبل أن تهوّل إلى شاشة اللابتوب و تغلقها ثم تعود للباب و هي تعدل من وضع ملابسها و شعرها ثم رسمت ابتسامة على وجهها و فتحت الباب، تقدم هادي خطوة و هو مبتسم ابتسامة حانية، وضع يده على خصرها و إقترب منها محاولاً خطف قبلة لكنها أشاحت بوجهها و إبتعدت عنه قائلة:

- تشرب قهوة ولا بابونج؟

تغيرت ملامح هادي للإستنكار و إحتفت ابتسامته قائلاً:

- في إيه يا فودكا؟

إلتفت له محافظة على ابتسامتها و قالت:

- في إيه يا هادي؟

إقترب منها ممسكاً برسغها و سحب يده بلطف حتى وصلت لكفها قائلاً:

- إنتي لسة ز علانة مني؟

- و هز عل ليه؟

إقترب منها خطوتان حتى تلاصق جسدهم و أحاط خصرها بذراعيه قائلاً:

- سيبيني و أنا هعرف أصلحك.

ولامس شفتيها بشفتيه في قبلة رقيقة و هو يحرك يده بهدوء على فخذها و خصرها ..

وقف رأت أمام باب غرفة النوم ممسكاً بالأطباق بعد أن صفعت زوجته البلب في وجهه، يحاول التحكم بأعصابه و هو يعود ليحاول مجدداً:

- حبيبتي طب إفتحي عايز أتكلم معاك، كل حاجة ليها حل يا ماما..

تصاعد صوت بكائها الذي كان يعتصر قلبه في السابق، لكن الآن يشعره بغضب شديد، يعلم أن كل ما هي تمر به من حقها لكنها لا تعطيه أي فرصة، لا تتعطيه وقتاً لأكثر من جملتين، ولا تنطق بحرف، قبل أن تقلب عليه الطاولة و تغلق الغرفة على نفسها و تنهار في البكاء، شهران و لم تتحدث سوى ثلاثة مرات بثلاث جمل قصيرة، لتبكي و تنهار، هل البكاء و النحيب يغير من شيء؟ لا تتركه حتى ليهون عليها، هو لم يستسلم و لم ييأس، لكن عليها للحظة التفكير في مشاعره هو أيضاً، الصمت و التحمل كثيراً قد يأتي عليه يوماً و ينفجر محدثاً صوتاً مدوياً يسمعه الأصم... طرق الباب مجدداً حين لاحظ إختفاء صوت نحيبها و تسرب القلق إلى قلبه، بدأ يطرق الباب بشكل أعنف و يتلقى صمتاً، إبتعد خطوة و دفع بجسده إلى الباب ثم عاد مجدداً و دفع بنفسه إلى الباب، يشعر بكتفه يتمزق مع كل دفعة لكنه لا يبالي، إنهارت كل مشاعره عدا القلق على حبيبته .. أعاد دفع الباب حتى صرخ كتفه ألماً و إنخلع الباب ليجدها ملقاه على سريرها، حاول إفاقتها فلم تستطع، حملها إلى السيارة و منها إلى المستشفى، وقف أمام غرفة الكشف يجز أسنانه بعد أن إحتل الغضب عقله مجدداً و بقايا قلق تجعله يضرب الحائط بقبضته كل عدة دقائق حتى رأى الطبيب يخرج من الباب فهرول إليه قائلاً:

- خير يا دكتور؟

- المدام عندها هبوط حاد في الدورة الدموية و كانت ممكن تموت لو كنتوا إتاخرتوا شوية كمان.

- هي لسة عاملة عملية إستئصال رحم من شهرين كدة ممكن يآثر على حاجة؟

- مياثرش لكن يفسر كثير.. معندكوش أولاد صح؟

طاطاً رأت رأسه قائلاً:

- أيوة.

- أنا بس عايز أوضح لحضرتك إن الست بعد خبر زي دة بتدخل في إكتئاب حاد و بتكره نفسها و جوزها و بتفقد كل أشكال متع الحياة ، لا بتاكل ولا بتشرب فطبيعي تدخل في هبوط زي دة.

- و العمل؟

- هي هنا هتقعد معانا يومين لحد ما تفوق، لو أمكن تكلم والدتها تيجي تقعد معاها وهي هتكون عندها علم بالحالة و التصرف أكثر منك.

تتنحج رأفت قائلاً:

- والدتها متوفية.
- البقاء لله.. أنا أسف.
- و نعم بالله... مفيش حاجة يا دكتور.
- طب يبقى والدته حضرتك.
- ماشي متشكر يا دكتور..

و هم أن يبتعد و يده على الهاتف ليوافقه الطبيب قائلاً:

- حاول تعدي أي حاجة هتحصل الفترة دي عشان هي مش في وعيها، حاول تستحمل أي فعل أو كلمة هتقولها، ربنا يطمناك عليها.

حياه رأفت مبتسماً و إبتعد ممسكاً بالهاتف و طلب رقم والدته قائلاً:

- الو.. أبوة يا ماما.

ألقت نفسها في حضنه بعد معركة عنيفة، لف ذراعيه على ظهرها محتضناً إياها في حنان جعلها تتعجب كيف يكون ذلك الحنون هو نفس الشخص الذي كان يمزق أحشائها منذ دقائق! طبع قبله على فروة رأسها تبعها بأخرى على وجنتها قبل أن يغمض عينيه مبتسماً..

عندما تأكدت فودكا من نوم هادي إنفلتت من بين ذراعيه بهدوء، تحركت في الغرفة بخفة، بحثت في ملابسه، نقود و مفاتيح و محفظة.. لا هاتف! بحثت في المحفظة لتجد عدة كروت بنكية، لا بطاقة، لا رخصة قيادة.. إرتدت ملابس خفيفة و هبطت درجات السلم لتخرج إلى سيارته، فتحتا و فتشت فيها.. البطاقة الشخصية و الرخص حملت صورته و إسمه بالكامل، إسمه مألوفاً عليها لا تعرف أين سمعته من قبل.. أخرجت هاتفها و إلتقطت صورة لبطاقته ثم أعادتهم لمكانهم و بحثت في كل مكان عن أي شئ فلم تجد.. فتحت باب السيارة و خرجت مسرعة قبل أن يستيقظ و يلاحظ إختفائها، تفاقزت على أطراف أصابعها على درجات السلم حتى وصلت و أغلقت الباب برفق، أعادت كل شئ لمكانه و إتجهت للمطبخ تعد مشروبين، نبت في رأسها مشروب إيلين المفضل.. نيسكافيه بقطع المارشملو.. دلع إضافي كما تقول.. أعدت الكوبين و تمشت في شورت قطني بلون اللافندر، وقفت و إستندت بكتفها إلى الباب قائلة:

Hey Sleepy -

تعلم أن نومه خفيف لأقصى درجة، و أنه بعد العلاقة لا ينام أكثر من نصف ساعة، فحين قالت ذلك فتح هادي عينه ناظراً لها و إبتسم قائلاً:

- اللافندر ده هياكل منك حتة
- مهو مش فاضل حاجة تتاكل إنت كلت كل حاجة.
- و لسة مشبعتش منك يا فودكا...

ناولته كوبه و جلست بجانبه، نظر لما يحتويه الكوب قائلاً:

- مارشميللو! دة دلح إضافي دة.
- مهو لو مش أنا اللي هدلعك يا حبيبي مين اللي هيدلعك.

قال مبتسماً بإستنكار:

- هو في إيه النهاردة يا فودكا؟
- أمسكت بيده و طبعت قبلة عليها قائلة:
- عايزة أقولك على حاجة مهمة.
- إختفت إبتسامته و قال و هو يتمنى أن يخيب ظنه:
- خير يا فودكا؟

أخذت الكوب من بين يديه و وضعته على المنضدة الصغيرة ثم أراحت رأسها على فخذه ناظرة لعينييه، تمشت بيدها على رقبتة حتى وصلت لشعره و أصابع يدها الأخرى تلمس أصابعه قائلة بين إبتسامتها:

- أنا بحبك.

هبطت الكلمة عليه كنصل مقصلة، إمتنع وجهه و بهت و إنطفأت إبتسامته مما جعلها تعتلد في جلستها و على وجهها إرتسمت الخيبة و التساؤلات، قالت له بحاجب مرفوع:

- في إيه يا هادي!

تنحج هادي مستجمعاً الكلام قبل أن يقول:

- مفيش يا فودكا، أنا بس.. إتحضيت.
- إتحضيت!
- متوقعتش... أصل تقريباً آخر مرة إتقابلنا إتكلمنا في حاجة شبه كدة و أظن إني كنت واضح.
- والواضح..

تفاجأت من ثباتها الإنفعالي و بعدها عن الحزن رغم شعورها بالخيبة و هي تقول:

- إنت إيه مشكالك مش فاهمة؟

ظل صامتاً مطأطأ الرأس فقالت:

- لأ بعد إذنك كلمني زي ما بكلمك.
- متأكدة إنك عايزة تسمعي؟
- أيوة يا هادي متأكدة.. سمعني.
- بصي يا فودكا و مش عايزك تزعلي من أي حاجة أنا هقولها، أنا و إنتي مينفعش نكون مع بعض، إحنا الإثنين عندنا كمية أسرار منعرفش يوم ما نتكشف ردد فعلنا هيكون عامل إزاي..

قاطعته:

- دي حياتنا السابقة و مظنش هتأثر علينا و إحنا سوا و كمان..

قاطعها:

- فودكا أنا عندي أسرار كثير عارف إنك مش هتقدري تستوعبها..

قالت ساخرة:

- أكيد مش هتطلع سفاح يعني..

إبتلع جملتها دون أن يظهر عليه رد فعل قائلاً:

- إنتي كمان عندك أسرار كثير، إحنا بنحب نكون سواء، بنتقابل على فترات بعيدة، مين عارف لو وشنا في وش بعض كل يوم إيه اللي ممكن يحصل، مين عارف لو أنا وإنتي في بيت واحد البيت هينهار علينا بسرعة قد إيه!
- طب ما نجرب و نشوف!
- طب ما إحنا مع بعض، تقدري تقولي إيه هيختلف لو قولتلك أنا بحبك؟
- حاجات كثير طبعاً،
- ولا أي حاجة، هنكتف بعض بمسئولية و سؤال و مكالمات و غيره و بتعملي إيه و رجعتي إمتى و قولتلك متروحيش و بلوكات في الآخر.. إحنا دلوقتي مقصرين على نفسنا كل دة..و لو عالكلمة بس يا فودكا و عايزة تسمعيها مني فأنا بحبك.. هل الموضوع إختلف؟

ظلوا صامتين بعدها لدقيقتين بدأ فيهما الحزن و الأسى يتسرب إليها فقطعت الصمت قائلة:

- بس إنت أكثر واحد بي فهمني و بنهزر و نتناقش و باخد رأيك ، أنت مهم جداً بالنسبالي..
- عشان مش فرض عليا و لو معملتوش مش هتزعلي، لكن بمجرد إرتباطنا هيبقى واجب عليا كدة حتى لو إنتي ميترعش لو معملتوش.
- طب..

قاطعها بحسم:

- هسألك سؤال يا فودكا ، لو جاوبتيني عليه مستعد إننا نتجوز بكرة الصبح مش نرتبط بس.. إسمك الحقيقي إيه؟
- بهتت فودكا كما لم تبهت من قبل، إمتنع وجهها و ثارت معدتها و صبغت بشرتها باللون الأصفر فقال هادي:
- شوقتي بقى إننا في أحسن وضع ممكن نكون في سوا؟
-

إنتهت حلقة المسلسل الذي تتابعه والدته رافت، فنظرت لزوجته قائلة:

- مش قولتلك هتعرف إن هو السبب في كل دة؟

لتجدها شاردة في عالم آخر و الدموع تقف على عينيها منتظرة التحرر، فأمسكت الأم بجهاز التحكم و أغلقت التلفاز و إستدارت لها قائلة:

- عندك إيمان إن في حاجة تحصل برة إرادة ربنا؟
- لأ طبعاً..
- طب عندك تفكر في ربنا بيظلم حد؟

- أستغفر الله العظيم لأ طبعاً يا ماما إيه اللي بتقوليه دة.
- و ربنا أراد إنه ميرزقكوش باطفال، نعترض على إرادته؟
- طأطأت رأسها و لم تجد رد فأكملت الأم:
- أهوه اللي إنتي بتعمليه من يوم العملية دة إعتراض على أمر ربنا، حقك إنك تحزني و تزعلي، لكن بحدود و بوقت..
- زعلك دة ممكن يخسرك حاجة أكبر من الخلفة يا بنتي.
- إيه ممكن يزعل أكثر من الخلفة؟
- صحتك اللي في نازل و كل يومين في المستشفى، عمرك اللي بيجري بيكي و إنتي مشيلة نفسك هم و سواد، دة إنتي المفروض في أحلى أيام حياتك.. ربنا لما يرزقك بإبتلاء هو مش عايز منك غير حاجة واحدة بس..
- إيه هي؟
- الصبر يا بنتي، الصبر و الدعاء و إتأكدي إن عوض ربنا جاي جاي.. و دي الحاجة اللي لما تحطيتها في دماغك هتقدري تعدي أي حاجة بتحصلك مهما كانت صعبة.
- و نعم بالله.
- في حاجة تانية لازم تاخدي بالك منها يا بنتي.
- إيه هي؟
- جوزك، جوزك فلقان و مرعوب عليك ، في نفس الوقت شابل و مستحمل كل حاجة بتعملها و كل الكلام اللي قولتيه في عصبيتك و زعلك رغم إنك قولتي كلام كتير يجرح أي حد..
- أنا و الله ما أقصد أنا بس..

قاطعتها:

- أنا فاهمة يا حبيبتي، إحنا ستات زي بعض ، و عشان أنا ست و عدى عليا عمر مع المرحوم و مع ولادي بقولك إن الرجالة مبيفهموش اللي إحنا حاسينه رغم إنهم ممكن يقدروله، و رأفت لو مستحمل كل دة فهو مستحمل عشان بيحبك يا بنتي.. دة ميخليكيش تسوقي فيها حتى لو مش بقصدك، هو و بياخد باله من كل كلمة و بصة و فعل عشان مضايفكيش، و حتى من وراكي بيعمل حساب لوجودك ، أنا مش بقولك كدة عشان هو إبنني، أنا بقولك كدة عشان دة فعلاً الواقع.
- هو إشتكالك؟
- إبنني عمره ما إشتكالي منك و عمره ما خرج سر من أسرار بيته حتى لأمه، لكن أنا أم و فاهمة، و إنتي برضه بنتي.
- طب تنصحيني أعمل إيه؟
- أول حاجة فوق من اللي إنتي فيه دة، واحدة واحدة كدة لحد ما حياتك ترجع زي الأول، راقبي تأثير كلامك عليه، شوفي إيه اللي ببضايقه و متقوليهوش، لاحظي تصرفاته و إمتى بيكون رايق و إمتى باله مشغول ، و هو رايق قوليله اللي إنتي عايزاه ممكن تاخدي منه عينيه لو طلبتهم، جوزك شغله بيحتاج مجهود ذهني جبار و دايماً ضاغط على أعصابه حتى و هو نايم في البيت، متبقيش وسيلة بتزود الضغط عليه.. و لو هو بيبستحمل متدوسيش.. رأفت بيحبك ، و إنتي الوحيدة اللي عندك القدرة تخلي حياتكوا جنة.. أو جحيم.

إرسمت بسمه على شفتيها من حديث والدته لتقول:

- أنا بس عايزة أسألك حاجة يا ماما.
- إسألني طبعاً يا حبيبتي.
- إنتي إزاي كدة؟
- كدة اللي هو إزاي يعني؟
- يعني أي أم مكانك هتكون بتخط بالكلام ، و لو عرفت إن مرات إبنها مبتخلفش هتزقه على جواز تانية.

- لا يا حبيبتي دول عقارب اللهم إحفظنا، إنتي بنت ناس و خارجة من بيت أبوكي عشان تكوني واحدة من العيلة و أنا عندي بنت و أي حاجة بتعملها بقيسها عليها و أتخيلها لو مكانك
- بعد الشر على حبيبة و بنتها ي اماما.
- حبيبتي دة إختيار ربنا ليكوا و لحياتكوا و هو ألخبير العالم بإيه خير ليكوا ، "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا" و بعدين الموضوع مش بإيدك دة قدر ربنا و إحنا ناس مؤمنين.. إزاي هحاسبك على حاجة ملكيش ذنب فيها؟
- ما هو ربنا محلل الجوازة الثانية لو الزوجة الأولى عاقر...
- محلل، مش فارض.. و أنا أة كان نفسي أشيل عيال رأفت، بس أنا عمري ما هسمحله يعمل فيكي كدة، إنتي برضه بنتي.

إحتضنتها بقوة و شعرت بالراحة تغزوها فقالت:

- أنا متشكرة أوي يا ماما، متشكرة أوي.
- على إيه يا حبيبتي، إنتي تستاهلي كل خير.

نظرت لها بعين تمتلئ إمتنان لتقول الأم:

- هتخليني أكسل و معملش الأكل عشان جوزك يبجي يتخانق معايا، قومي يابت نعمل محشي عشان نروق عليه تلاقيه هيبجي من شغله تعبان .

يجلس هادي في غرفته بالكافيه يراقب الأجواء، فودكا لم تظهر منذ آخر مرة، يعلم أن الأمر سيأخذ بعض الوقت كي تتقبله، لكنه لا يستطيع التخلي عن إحساس القلق عليها، و إحساس أنه خذلها، لكنه يعلم أنه محق.. لن تتقبله فودكا أو فتاة غيرها مهما كانت تعشقه، جانبه المظلم سيأتي يوماً و يظهر للنور، لن يتحمل نظرة الخذلان و عدم التصديق التي ستحتل وجه كل من وثق به، لذا يبعد الكل عنه.. نبتت في رأسه ذكرى من الهواء.. طفل صغير يرتدي تي شيرت أخضر يحمل حرف F باللون الأحمر نائماً في سريرته ليستيقظ على نحيب طفل آخر ، يفتح عينه ليجد من بالسرير المجاور يبكي بكاء شديداً إعتصر قلبه.

فتح هادي عينه محاولاً طرد الذكرى من رأسه قبل أن يخرج للكافيه، كالعادة يتعامل كأنه عميل و يحرص كل من يعملون بالمكان على معاملته كعميل عندما يكون في الصالة، كان ذلك شرط في عقد التوظيف، تحرك هادي في الكافيه و جلس على طاولة فودكا، يراقب عن قرب الوجوه الجديدة ، متحابين و متخاصمين، أصدقاء و زملاء عمل، أشخاص تنهمك في الضحك و آخرون منهمكون في الكتابة، يفقد فودكا رغم محاولة طرد تلك الفكرة من رأسه، أشار لخالد فأقترب ليقول له:

- إنت معاك رقم فودكا؟
- أيوة ثواني هطلعه لحضرتك.

تراجع هادي قائلاً:

- لأ إنت عارف إني معيش تليفون.
- طب اكلمهالك؟
- لأ مفيش داعي، روح إنت دلوقتي. و شوية و خلي ببلي يعملني قهوة.
- حاضر.

و إنصرف خالد بينما جلس هادي بين قلقه الذي يزداد دون تحكم منه.

خرج الضابط عم هادي من المصعد و تقدم ليرن جرس الباب، دقيقتين و لم يفتح أحد، ضغط مرة أخرى على الجرس و باليد الأخرى يطرق الباب فلم يفتح أحد.. وضع يده في جيبه و أخرج مفتاح قديم .. وضعه بالمزلاج و أداره و هو يتلفت فإِنفتح الباب، دلف و اغلق الباب من خلفه برفق و تمشى بهدوء ملاحظاً كل شيء.. توقف أمام كومة القمامة قبل أن يرتدي قفاز بلاستيكي و يجلس القرفصاء يبحث بين الكومة، ما إن رفع الحقيبة الأولى حتى هاجمته رائحة كريهة خانقة وضع يده على أنفه على أثرها، قلب في الكومة متفرزاً محاولاً فهم لماذا أهملت تلك الكومة حتى وصلت لهذا؟ قبل أن تنبث فكرة في رأسه جعلته ينهض مسرعاً، ربما أهملت تلك الكومة عن قصد لتغطي رائحتها على رائحة أخرى لا يريد هادي لأحد أن يكتشفها. بحث في المطبخ فلم يجد شيئاً، تقدم ليقف أمام غرفة القتل، حاول فتحها فوجدها موصدة جيداً، حاول البحث عن مفتاحها في كل مكان فلم يجده، أخرج من جيب بنطاله أداة من قطعتين أدخلهم في فتحة المزلاج و عبث بهم حتى سمع الطقطقة ، فتح الباب فإِنفتح لتصتدم أنفه برائحة الفورمالين، ذهبت يده إلى زر الإضاءة الذي يعلم مكانه جيداً فأضيت الغرفة و شاهد الكابوس، فغر فاه من هول ما شاهده و أخرج هاتفه مباشرة يصور ما تحتويه الغرفة، توقف قليلاً أمام الدولاب الذي يحوي الفستان و الشعر المستعار و وجه الأرنب و هو يتذكر بلاغات و شهادات عن مفقودين شوهدوا للمرة الأخيرة يغادرون برفقة فتاة حمراء الشعر ترتدي فستان أحمر عاري.. ربط الأحداث و هو مازال يستوعب هول الأمر و عيناه ذاهلتان، أنهى التسجيل و عبث في الهاتف لإرسال المقطع إلى أحد الضباط العاملين على القضية، ظهر الفيديو في مربع المحادثة و بجانبه جملة (لا يمكن إرساله) نظر لإشارة الشبكة فوجدها ضعيفة، هرول خارجاً من الغرفة حتى ظهرت عجلة التحميل بجانب المقطع تمتلئ ببطء.. كان ذلك قبل أن يتلقى ضربة بشئ معدني على رأسه أسقطته أرضاً.

الفصل التاسع

أدار رأفت المفتاح بداخل المزلاج لينفتح الباب، أشار لزوجته لتتقدمه إلى شقتهم قبل أن يدخل بعدها ممسكاً بأكياس تحمل طعام ساخن، وضع الأكياس على السفرة بينما إتجهت هي إلى المطبخ تحضر أطباق، رفع صوته لتسمعه و هي في المطبخ قائلاً:

- بس البنوتة اللي في الملجأ اللي في حدائق القبة كانت عسولة أوي.

رفعت صوتها و هي ترد:

- لأ، الولد اللي في دار الأمل اللي كان لابس قميص أزرق كان أهدى و ألطف.

أخرج ما في الأكياس لتحضر هي بالأطباق واضعة الطعام بها و هي تقول:

- لو هنكفل طفل فعلاً لازم يبقى ولد.

قال مازحاً:

- و متبقاش بنت ليه إن شاء الله؟

- البنات آخرها هتتعلم و تتجوز مثلاً؟ لكن الولد هيكبر و يشتغل و بيقاله مستقبل و هكون شئ من السند لينا، هيفضل فاكلنا اللي عملناه.

- و هو إحنا هنكفله عشان يفتكرنا و تبقى جميل؟

- لأ مش قصدي يا حبيبي، إحنا بندور على اللي يكون زي الإبن ، و إحنا لما نكفل طفل و نعوضه عن أهله أظن إنه عال أقل لما يكبر و يتجوز و إحنا سننا يكبر إنه هيعدي علينا كل فترة يتظمن.

- أهم حاجة ننقي كويس الطفل اللي نكفله، لازم قلبك يرتاحله يا ماما و تحسي فعلاً إن قلبك راحله.

قضمت قطعة من الدجاج و هي تقول:

- الولد اللي في دار الأمل.

إبتسم رأفت قائلاً:

- يبقى نزوره كثير و نتعود عليه قبل ما نكفله.

قالت و هي تنهش الدجاجة بنهم:

- إن شاء الله، هيطلع رأيي صح برضه.

خرج هادي مسرعاً من غرفته في الكافيه دون أن يعياً بمن سيشاهده يخرج من غرفة العاملين، إتجه لطاولة فودكا و أمسكها من ذراعها جاذباً إياها قبل أن يقول:

- إنتي كنتي فين الأيام اللي فاتت؟

- مالك يا هادي؟

- ردي عليا كنتي فين؟

ملامح الغضب إرتسمت على وجهها و هي تقول:

- و إنت مالك؟
- مالي إزاي يعني ما أنا....

إستوعب هادي الموقف و صمت ناظراً للأرض لتحرر فودكا يدها من يده و تنتظر له بإنتصار قائلة:

- هو أنا خلفت بمعاد كنا متفقين عليه ولا حاجة؟

ظل هادي ناظراً للأرض و هو يستوعب ما فعله نادماً لتكمل هي:

- طب لما هو الموضوع فيه عصبية و شد و كنتي فين.. كان إيه لازمته النقل يا كاريزما.

جلس هادي شارداً لتكمل جلد:

- لأ بس وقعت إنت، شكل البت فودكا دي سرها باتع..

إبتسم رغماً عنه فضحكت قبل أن يقول:

- إنتي بس قلقتيني عليكي لما مظهرتنيش و مفتحتنيش الباب لما جيت و خطبت و كمان مبرديش علي..

إستوعب هادي ما كاد أن يقوله فبتر عبارته لتضحك هي ضحكة مدوية و تقول:

- مبرديش على التلفون... كلمتني عالتلفون يا هادي!.. أخيراً.. لو الغياب بيحبب معاك أنا كنت إختفيت من زمان.

إحمر وجهه خجلاً قبل أن يقول:

- خلاص يا فودكا..
- لأ خلاص إيه دة الليلة عيد.
- خلاص يا ولية بقي.
- و الله لا، أنا مبسوطه فشخ يا جدع.. معقول قلقت عليا يا هادي؟
- ...
- ولا وحشتك؟

نظر لها هادي مبتسماً لتقول:

- إعترف يا وغد، وحشتك صح؟
- وحشتيني يا فودكا.
- اللهم صلي عالنبي... أقسم بالله أقوم أبوسك بوسة تجيب أجلك إنت حر.
- يا بت بقي ما تهدي.. قوليلي.. كنتي مختفية فين الأيام اللي فاتت؟
- كنت مكتئبة و برفس مالعياط في البيت.
- لأ بجد.. كنتي فين؟
- مش مهم دلوقتي..
- ماشي.

و نهض هادي ليجلس في المقعد المجاور لها، تناول كفها في كفه لتتشبك الأصابع و تضغط هي على يده محتضنة كفه بقوة، ثم أراحت رأسها على كتفه بعد أن ناولته إحدى سماعتي الأذن لتشاركه ما تسمع، ظلوا هكذا لثلاثي الساعة حتى قال هادي:

- هو إنتي مبتسمعش غير ميتال.
- بسمع.. روك!

إعتدل ليستقيم جسدها على الكرسي فيقول:

- ليه كدة يا بنتي، مبتسمعش تامر أو أنغام؟
- مبحش اللون دة
- طب أندرجراوند؟
- مليش فيه
- أم كلثوم و فيروز؟
- مليش خلق...
- راب حتى أو مهرجانات..
- لأ برجع..
- يخربيت تشبيهاتك .. إشمعني يعني؟
- أنا أصلاً مليش في الحاجة اللي الناس كلها بتعملها.
- زي إيه يعني؟
- يعني.. موزات الأغاني، الترينات عموماً، بابجي، الدارك ويب، التيك توك..

قاطعها:

- الدارك ويب؟
- أة ، لو متعرفوش تبقى من عليه القوم..
- لأ أعرفه.. أأأأأ، واحد صاحبي حكالي عنه، ماله بقى؟
- ماله إيه يا بني؟ طب هقولك، عارف النت العادي اللي بدخل بيه على الفايس بوك و ال..

قاطعها:

- إيوة أنا عارف إنتي هتقولي إيه.. إنتي عرفتيه منين؟
- أنا كنت بدخل عليه أصلاً.
- نعم؟؟ إزاي؟
- بص ، في برنامج كدة إسمه تور اللي هو شبه البصلة، نزلته و دخلت من عليه، هو بيكون عليه مواقع بحث زي جوجل كدة ، بس هي مش زي جوكل خالص، كنت من وقت للتاني بدخل و أتفرج، بببيعوا عليه سلاح و مخدرات و أعضاء و حتى البشر..
- بتدخلي عليه عادي كدة؟
- أيوة عادي!
- و الهاكرز؟
- مالهم؟
- مبيخترقوش جهازك و إيميلاتك و حسابك في البنك و صورك و كل دة؟

ضحكت بإستهتار لما يقول ثم قالت بفخر:

- و الأنتي فيرس راح فين؟
- الأنتي فيرس! الأنتي فيرس هيقف قدام الهاكرز؟
- لأ ما هو أنا مش محملة أي أنتي فيرس، أنا محملة Avira اللي هو بشمسية حمرا دة، دة برنامج جامد مفيش حاجة بتعدي منه.

إرتسمت على شبتیه إبتسامة سخرية و إستهزاء لتقول فودكا:

- أنت بقى بتدخل الدارك ويب إزاي؟

إرتبك هادي قائلًا:

- أنا؟ ... أأ لا أنا مبدخلوش ، إيه اللي خلاكي تقولي كدة؟

نظرت له بشك قائلة:

- أصل أنا قولت حاجات كتير أوي مبجهاش أو بطلت أعملها و إنت من بينهم كلهم سألت عن الدارك ويب، و كمان عمال تفاو حني كإنك فاهم كويس، فإحكي لي..
- لا يا بنتي أنا كان عندي واحد صاحبي بيحكلي عنه كتير فأنا كنت مستغرب..
- قالك إيه صاحبك ده؟
- مش مهم بقى مش هتفرق... المهم بمناسبة إنك وحشتيني و إني شوفتك النهاردة أنا عايز أقولك على سر محدش يعرفه غيرك، و مينفعش حد يعرفه

تحفرت ملامحها و إتسعت عيناها إستعداداً فقال هادي:

- الكافية دة بتاعى..

صمتت للحظة تستوعب قبل أن تضحك قائلة:

- أيوة.. معلومة قديمة أصلاً.
- إنتي مش مصدقاني صح؟
- لا!!!!!! مصداك طبعاً..

ضحك هادي متراجعاً فيما حاول أن يشاركه معها فقال:

- يعني مدخلتش عليكى خالص؟
- ولا عدت من قدامى حتى..
- مقفوش أنا أوي كدة؟
- مقفوش فشخ...

و ضحك الإثنين بصوت عالي قبل أن تتذكر فودكا شيئاً و تعبت في حقيبتها قبل أن تخرج الكارت البنكي و تناوله لهادي قائلة:

- تسلملى يا أبو الصحاب، يدوم الواجب يا أبو نسمة

ضحك هادی قائلاً:

- خدتى اللى إنتى عايزاه؟

- أة زي ما قولتلك، خدت 3000.

- ماشي يا ستي.

- و حطيتلك سبعتلاف.

نظر لها هادي بغضب قائلاً:

- ليبييه كدة يا فودكا؟؟؟؟

- يا عم أنا بقالي كام مرة أخذ منك فلوس ، و أصلاً سبعتلاف دة جزء بسيط من اللي واخداه، لما ربنا كرمنا قولت أرجعلك جزء و بعد كدة يحلها الحلال.

صاح هادي بغضب قائلاً:

- و هو أنا قولتلك إني عايزهم تاني؟

صاحت هي الأخرى في وجهه قائلة:

- يعني إيه يعني إنت هتبقتش عليا؟ فلوس و خدتها منك و برجعها لك، فين أم المشكلة مع سعادتك؟

صمت هادي قليلاً محاولاً تمالك أعصابه قبل أن يقول:

- بصي يا فودكا، أي فلوس هتاخديها مني بعد كدة مترجعها....

قاطعته قائلة:

- مفيش حاجة إسمها كدة...

قاطعها:

- طب أي فلوس تاخديها مني لو حبيتي ترجعيها رجعيها كاش يا فودكا متحطيتهاش في الفيزا.

نهضت في عصبية و هي تلملم حاجياتها قائلة:

- لا و ليه.. أنا أصلاً مش هطلب منك فلوس تاني...

و غادرت الكافيه بينما هو لم يلحق بها، عاد إلى غرفة المراقبة و أمسك بالهاتف ليطلب رقم علي قائلاً:

- أيوة يا علي في مشكلة..

- خير؟

- الفيزا اللي بنجيبها من الدارك ويب..

- مالها؟

- لو حد حط عليها فلوس إيه اللي بيحصل؟

- بيحصل مصيبة طبعا و ممكن نتجاف كلنا..

- و الحل؟

- و إنت إيه اللي خلاك تحط فلوس فيها ما أنا جاييلك كذا واحدة فيهم مبلغ محترم؟

- مش مهم دلوقتي المهم هتتعرف تتصرف؟

- يعني أة.. أنهي فيذا فيهم؟

- اللي هي لونها نبيتي دي.

صمت علي قليلاً قبل أن يجيب:

- ماشي سهلة، هحلها.

و أغلق المكالمه ليعود هادي للصالة و يجلس على طاولة فودكا، إيلين تجلس في الطاولة المقابلة له و كل بضعة دقائق تنتظر له و على وجهها أعتى علامات التوتر و التردد، و هادي شاردأ في عالم فودكا التي إستطاعت جعله يسقط في القلق على شخص، للمرة الأولى في حياته

خرج رأفت من مسرح الجريمة يرتب الأوراق في عقله، بعد إنتحار السفاح في السجن تبدو كل القضايا سهلة لكن تحتاج القليل من التركيز، يجب عليه ألا يدع القضايا الصغيرة تبعده عن منزله طويلاً، خصوصاً أن زوجته بدأت تتعافى و تحتاجه بجانبها، أوقف سيارته بجانب أحد محلات الورود و إختار باقة جميلة من الورد الأحمر، ثم تمشى إلى متجر كبير و إختار قالب الشيكولاتة المفضل لها و عاد للسيارة، إنطلق في طريقه للمنزل قبل أن يسمع رنين هاتفه، كانت مكالمة من الملازم أحمد الذي ساندته في قضية السفاح كما ساندته في المستشفى مع زوجته و ما بعدها ، أجاب رأفت المكالمة قائلاً:

- أبو حميد...

- رأفت باشا.

- إيه الأخبار يا باشا؟

- و الله كله بخير يا فندم.

- ما بلاش يا فندم الألقاب دي، ولا دي مكالمة شغل؟

- الحقيقة لأ يا باشا، أنا بكلمك أعزمك على فرحي يوم الخميس الجاي.

تهللت أسارير رأفت و قال بفرحة حقيقية:

- ألف مبروووك يا عم أحمد ، أيوة كدة يا جدع قولنا خبر يفرح .

- الله يبارك فيك يا باشا، طبعاً حضرتك تشرفني و تنورني إنت و المدام،

- يابني أنا مش محتاج عزومة أنا صاحب فرح أصلاً.

- طبعاً يا باشا دة شرف كبير ليا و الله.

لمح رأفت متجر (Beauty) فحضر المكابح لتقف سيارته مصدرة صريراً عالياً قبل أن يعود عدة أمتار ليتوقف أمام المتجر، قال و هو يترجل من السيارة:

- خلاص يا باشا هبقى أكلّمك تقولي التفاصيل.

أغلق رأفت المكالمة و دلف إلى المتجر مبتسماً لتلك الفتاة الرقيقة التي تعمل بالداخل، سألها عن منتجات مساحيق التجميل فأبتسمت مرحبة به و تقدمه تعرض عليه الكثير من المنتجات التي لا يعلم عنها شيئاً

أدار هادي المفتاح في المزلاج و دلف لشقته ليجد سايكو يقف و أمامه كرسي مقيد عليه الضابطة فمه مكتم بقطعة قماش، مستيقظاً منتبهاً هادئاً رغم الدم الذي نشع من مؤخرة رأسه و صبغ قميصه باللون الأحمر، لم يستوعب هادي ما يحدث قال سايكو:

- ما بدري يا بيه الأكل برد.

نظر هادي للموقف بذهول قائلاً:

- إيه يابن المجنونة اللي بتعمله ده.. إنت عارف ده مين؟

- لو أنا مش عارف مكنتش ربطته كدة.

- طب و بعدين يا سايكو؟

ملامح الجدية ترتسم على وجه سايكو قائلاً:

- مكنتش في وسيلة أقدر أضغط عليك بيها إلا دي.

إتسعت عيني هادي غير مصداً ليكمل سايكو:

- سامحني يا صاحبي، الغدر بالغدار مبيقاش غدر.

لم يفهم هادي و هو مازال غير مستوعب ما يحدث فقال:

- طب فهمني..

- و الله يا هادي أنا في مهمة و الموضوع مش شخصي خالص و إنت عارف.. فرصتي و جاتلي عشان أقولك قد إيه أنا بكرهك يلا إنت.

- القلوب عند بعضها يا عم بس الراجل ده ماله؟

- ما أنا لقيت إنه الشخص الوحيد اللي من ريحة المرحوم و غالي عندك و كدة فقولت أحرق قلبك عليه الأول قبل ما أحاسبك.

القلق إحتل جسد هادي و الخوف بدأ يتسرب إليه، هو يعرف جيداً من سايكو و ماذا يقدر أن يفعل، لكن لماذا؟ ماذا يحدث؟.. فتح فمه و كاد أن ينطق قبل أن ينهار سايكو في الضحك.. زاد ذهول هادي و سأل بعدم فهم:

- في إيه يا سايكو؟

أشار سايكو له أن ينتظر لينتهي ضحكه قبل أن يسعل و يقول:

- كان لازم تشوف شكلك و إنت قلقان و متوتر... مسخرة .

ضحك هادي ضحكة عالية قائلاً:

- يعني مفيش حاجة من الحاجات دي؟

- لا يا عم مفيش، و هو أنا من إمتى بتاع تهديد و لوي ذراع و حرقة قلب؟

- مهو ده بالظبط اللي خلاني مش فاهم و مش بالبع اللي بيحصل.. طب إيه بقى مين عمل إيه؟ و عمي إيه اللي جابه هنا؟

- بس متقولش عمك عشان مشتمكش شتيمة توقعك من نظره...

أمسك سايكو الضابط من ذقنه بعنف و هو يقول:

- الراجل القمر ده دخل شقتك من وراك و قعد يدور لحد ما لقي الأوضة بتاعتك ..

و لوح بالهاتف قائلاً:

- و صور كل حاجة فيديو و كان على وشك يبعثها لطابط ثاني، عشان لما أقولك إنك ماشي بتسيب ورق عليك في كل حنة، كان ممكن الورقة دي تجيب أجل أهلك يا مهمل.

ثم نظر لهادي بنظرة طفولية إم تلوم إبنها قائلاً:

- أنا علمتك كدة؟ إنت ولد كلبة وحشة نوتي و أنا مش هديك من المصاصة بتاعتي.

و أخرج من جيب بنطاله مصاصة فضها من الغلاف و وضعها في فمه بإستمتاع بينما ظل هادي ساكناً لثوان يستوعب ما يقوله سايكو قبل أن يقول:

- يعني دة اللي حصل؟ بس كدة؟ طب مش إنت إتصرفت؟

- أة يا عم.. هفضل أتصرفلك كدة لحد إمتى؟

- طب و هو عايش ليه؟

- قولت تشوفه لتيجي تلاقيه ميت تزعل مني...

- أزعل إيه يا عم كلب و راح.. تخلص إنت ولا أخلص أنا؟

- ما إنت عارف.. لو خلصت أنا هفضحكوا في قلب المكان..

- أة دة إنت صح.. طب إستنى بقى..

و دلف هادي للغرفة أحضر سكين كبيرة و حرك النصل الحاد على رقبة الضابط بنعومة و رفق و الضابط ينظر له بثبات تام قبل أن تقفز في رأس هادي فكرة قائلاً:

- لا أنا عندي فكرة أحلى بكثير..

- إبهرنى.

- إنت رابطله كويس؟

- لو سألت سؤال غبي زيك كدة ثاني أنا هربطك و أسبيه..

- طب يبقى أنا عايزه كام يوم معايا هنا قبل ما نخلص..

- إنت متأكد؟

- أيوة متأكد، إيدك معايا ندخله جوة.

حملوا المقعد بالضابط سوياً حتى غرفة القتل ليمسك هادي بمحقن و يسحب سنتيمترات السائل الأزرق من الأمبول مقترباً منه قائلاً:

- في العادة أنا مبستخدمش الـ M99 إلا مع الناس اللي بحتاج أخطرهم عشان أقتلهم، لكن دة ه يخفف عليك أحداث كثير و ه يخلي الوقت يعدي بسرعة لحد ما تجهز للي أنا هحتاجك فيه.

و نظر لسايكو مشيراً له بالخروج من الغرفة ليتبعه هادي و يغلق الباب جيداً ، تقدم هادي سايكو إلى الأريكة و قال له:

- أنا بس هموت و أعرف إنت بتعرف كل دة إمتى و إزاي؟ و إزاي بتلحق تتصرف بالسرعة دي؟

- دي حاجة هتعرفها في رواية الحساب...

- رواية إيه؟

- رواية هتنزل عني كمان كام سنة كدة.

- رواية؟ عنك إنت؟!

- أة .. بس مش عني عني.. هي بتحكي قصتي بشكل روائي شوية و فيها تفاصيل حلوة...

- إنت من إمتى بتكتب روايات؟

- لأ مش أنا اللي بكتب، دة كاتب شاب كدة عرفته صدفة فحكيتله الفكرة و هو إنبهر بيها و قال إنه هيكتبها بعد ما يقعد معايا و أحكيه التفاصيل.
 - و بعدين؟
 - بقيت أقعد معاه و أحكيه و هو يكتب..
 - أنا عارف إن عندك ربع ضارب و مبهمكش ، بس إنت بتحكي لواحد متعرفوش قصة حياتك و إزاي بتعمل و تنفذ ! مخوفتش بيلغ عنك... أو يقلدك؟
 - مهو مش هيعرف..
 - ماسك عليه حاجة؟
 - ماسكه هو ذات نفسه، البيه محبوس في الهنجر بتاعي بقاله شهرين و إتناشر يوم.
 - اااااا، و أنا برضه بقول إنت ميطلعش منك حاجة عادية أبداً.
 - بس يا سيدي، إستنى بقى لما الرواية تنزل عشان تعرف إجابة سؤالك..
 - ماشي يا عم، هتبقى رواية تستحق أستناها الوقت دة كله.
 - هبهرك، بس أنا همشي دلوقتي.
 - إتكل على الله مشوفش وش أمك هنا تاني.
 - المرة الجاية هاجي على بيات.
 - تنور يا حبيب أخوك.
- غادر سايكو بينما دخل عادي غرفة القتل ، حرك الكرسي ليكون مقابل لكرسي الضابط الغائب عن الوعي، جلس هادي على الكرسي واضعاً قدم فوق الأخرى و شرد في ذاكرته...

أغلق رأفت الباب برفق و تسحب على أطراف أصابعه حتى وجدها تجلس على الفراش شاردة، بهدوء إقترب منها و نظر للورقة التي في يدها مبتسماً دون أن تلاحظ، وجدها تنتظر لصور الأطفال التي حصلوا عليها من دار الأيتام.. و ملامح زوجته تنتظر لهم بحب و حرمان.. إرتسمت على وجهه نظرة حانية و قبل رأسها لتتنفض بين يديه فاحتضنها معتذراً لتقول:

- خضيتني يا رأفت، مش تكح أو تعمل حاجة؟
- معلش يا حبيبتي لقيتك مركزة قولت مقاطعكش، بتعملي إيه؟
- بتفرج على صورهم، كتاكيت خالص.
- الأطفال أحباب الله.

إعتذلت في جلستها و قالت:

- مش إنت قولتلي قبل كدة إننا ممكن نتبنى طفل؟
- أيوة يا حبيبتي بس إحنا دلوتي بنفكر نكفل طفل منهم..

أمسكت بيده في إستجداء قائلة:

- طب ما نتبناه!

تغيرت ملامح رأفت فجأة لتقول هي له بإستعطاف:

- عشان خاطري يا رأفت.

و عبثت في الصور تبحث عن صورة الطفل، و حين وجدتها رفعتها أمام بصره قائلة:

- أهوه، كنا هنكفله، مفيهاش حاجة لو إتبنيناه و عاش معنا.

ظفر رأفت في ضيق قبل أن يقول:

- طيب خلينا نقرر بعد ما نرجع من فرح أحمد.

- أحمد هيتجوز! طب حلوة إمتى؟

- الخميس اللي جاي.

- ماشي بس أنا هحتاج أجيب فستان و ميك أب عشان معنديش.

إلتقف يدها و سحبها للخارج ، نظرت للسفرة لتجد عليها باقة الورود و قالب الشيكولاتة و الكثير من مساحيق التجميل، نبتت دمعة على عينيها و قفزت في حضنه قائلة:

- أنا بحبك أوي يا رأفت.

إبتسم بجانب شفتيه و هو يربت على ظهرها قائلاً:

- ربنا يخليكي ليا يا أم.... هو الواد دة إسمه إيه؟

إبتعدت قليلاً ناظرة لعينيها بأعين إتسعت حدقتيها قائلة:

- إسمه هادي!

جذب يدها إلى حضنه مجدداً قبل أن يقول:

- ربنا يخليكي ليا يا أم هادي.

الفصل العاشر

أثناء نومه شعر الطفل بشخص ما بجانبه على الفراش، قبل أن يشعر بتلك اليد الغليظة التي أخذت تعبث في جسده من أسفل الملابس، شعر بالخوف يجتاحه و التقزز لما تفعله تلك اليد به، حاول ألا يلاحظ من بجانبه أنه إستيقظ لكن الدموع التي أنهمرت من عينيه المغلقتان فضحتاه، ابتسم الشخص بسمه ظفر و قال بصوت هامس:

- أنا عارف إنك صاحي و حاسس إحساس حلو.

فتح الطفل عينه ليواجه أعين غليظة كريهة عليها غضب الله، و وجه مفلطح ذات شارب غليظ بث الرعب في وجهه، نهض الرجل و جذب الطفل من يده فأنصاع جسده رغماً عنه، سحب الغليظ أسفل الدرج و فتح باب ذو لافتة كُتب عليها (غرفة الخزين) و لافتة أسفلها كُتب عليها (للعاملين فقط)، دخل الغليظ ساحباً الطفل الذي إنهمرت دموعه كسيول يناير على وجهه الرقيق قبل أن يوصد الغليظ الباب، جلس على مقعد في ركن مظلم و سحب الطفل ليجلسه على فخذة...

عشر دقائق و إنفتح الباب لخرج الطفل ركضاً حافي القدمين ليقفز في فراشه و يبكي بحرقة كتمت صوتها وسادة دس وجهه فيها و الألم يعتصر جسده و روحه و كرامته.

فتح الضابط عينه بصعوبة و رأسه مازال يدور من أثر المخدر ليجد هادي جالساً أمامه ناظراً في عينيه نظرة تخترقه، لكنه برغم الدوار و تأثير المخدر لم يبدو إلا ثابتاً صلباً، قال هادي بصوت خفيض:

- أنا عارف يا عمي إنك بتعمل شغلك، و إن أي حاجة هتقولها أو كنت هتعملها هي حقك و حق أي حد يكتشف السر دة، بس الموضوع غصب عني و حاولت كثير أبطله و مقدرتش، إنت مسبتنيش يوم، دة إنت حتى جيت مع أبويا و أمي و هما جايين ياخدوني من الملجأ رغم إنك كان بقالك إسبوع واحد عريس، لكن إنت أكيد عارف إن أي حاجة هعملها فيك هتكون عشان أحمي نفسي.. دة عمري.. إنت دلوقتي بتهدد عمري نفسه، بس قبل ما أخذ أي فعل معاك عايز أوريك حاجة...

نهض هادي و أمسك صندوق خشبي صغير و فتحه ليظهر العديد من أمبولات الحقن القابلة لإعادة التعبئة، بداخلها سائل أحمر أقرب للدم البشري، أمسك بالأنبول الأول و رفعه أمام عين الضابط أحمد قائلاً:

- السيد طلبة، كان بيستدرج البنات الصغيرة للسطح و يعتدي عليهم.

و ضعه في مكانه و رفع غيره قائلاً:

- أشرف الحكيمي، كان بيستدرج الأطفال في أول سن البلوغ و يخليهم يــــ أنت أكيد فاهم.

وضع الأمبول مكانه و أخرج آخر:

- فيلوباتير جرجس، كان بيشقط بنات ليل و يضربهم و يعذبهم و في الآخر يغتصبهم بعنف لحد ما يموتوا تحت منه

وضع الأمبول في الصندوق و أخرج أنبول آخر:

- إبراهيم السماك، اللي قتل 41 راجل و دوخكو كلكوا سنين، في الآخر لبسها لواحد غلبان مستحملش لحد ما يسمع الحكم و إنتحر... أيوة أنا اللي بعدها بسنين دورت عليه و وصلته و كشفته.. السماك ما إنتحش في بيته، أنا اللي قتلته.

أعاد الأمبول للصندوق و تركه جانبا ثم عاد للمقعد قائلاً:

- كل واحد من دول عمل حاجة تخليه يستاهل يتقتل، أنا وفرتها على أهالي الناس اللي لو حد فيهم عرف كل واحد من دول عمل إيه في بنته ولا ابنه ولا أخته، و وفرت عالحكومة تحريات و محكمة و بطلان إجراءات و تزوير أوراق و غيره.. و وظفت الغريزة اللي عندي، أنا عمري ما قتلت شخص برئ يا عمي، لكن إنا لو سبيتك هتخرج و ترجع بقوة تاخدني، دة لو مقتلتنيش في وقتها، و أنا مش ساذج عشان أكون بحكيك عشان أحاول أقنعك إني مش مجرم ، دة غير إنك ظابط و مهما قولتك مش هتقتنع، أنا عارف إن نهايتي هتكون مقتول أو على حبل المشنقة، و لحد النهاردة الصبح كان ممكن أول ما لقيتك عرفت أخذك من إيدك و نروح نكتب نهايتي سواء، لكن في بنت قابلتني النهاردة و واقعة في مشكلة كبيرة.. مشكلة محدش هيقدر يحلهاها غيري، و لأول مرة في حياتي أحس بمسئولية ناحية حد، يمكن عشان هي رقيقة و بريئة جداً و المشكلة مش بتاعتها خالص و مش لاقية عليها حتى.. و مش هينفع أسيبك هنا و أنزل..

نهض هادي و مد يده على السكين الكبير بتردد قبل أن يسحبها قائلاً:

- عم أحمد، أنا عمري ما شوفت منك حاجة وحشة، أرجوك متسامحنيش.

و سحب النصل على عنقه بسرعة خاطفة ليتدفق الدم على رقبته ببطء.

لأول مرة يشعر هادي بأنه سحب النصل من على رقبته هو، لم يستطيع أن ينظر له و الدم ينسال، لو يطبق رائحة الدماء للمرة الأولى، تلك الرائحة التي عشقها طوال حياته أصبحت الآن كريهة مقززة لم يتحملها فخرج مسرعاً إلى الحمام أفرغ ما بمعدته و سقط على ركبتيه باكياً عائلته التي إنتزعت من دار الأيتام و أكرموه، هو الآن وحيداً تماماً ، أما سايكو فأمر آخر

إيلين تجلس في توباكو و على وجهها أعتى علامات الذعر و التوتر، تقدم خالد إليها يسألها عن طلبها فإنتفضت صارخة ليلتفت إليها كل من بالكافيه ، إعتذر خالد للجالسين و جلس محاولاً أن يهدئ من روعها:

- بغض النظر عن إيه مشكلتك ، مغيث حاجة و ملهاش حل... إنتي بس إهدي و لو عايزة تحكي إحكي، ممكن يبجي في دماغي حاجة تساعد.

جسدها ينتفض نظارة له قبل أن تقول بصوت مرتعش:

- فين أستاذ هادي، مجاش ليه لحد دلوقتي.

تتحنن خالد قبل أن يقول:

- أستاذ هادي ملوش مواعيد، زيه زي أي عميل هنا بيبجي وقت ما يحب.

نظرت له و قالت بنفس متهدج مرتعش:

- بس هو قالي إن الكافيه دة بتاعه و إني هكون في أمان هنا.
- هو قالك!

ثم تدارك ما قاله فصمت واضعاً يجه على رأسه قبل أن يقول:

- دي معلومة جديدة عليا يا أنسة كل اللي شغالين هنا ميعرفوش مين صاحب الكافيه و مقابلو هوش خالص.

-

زفر علي قائلاً

- أسف يا هادي مش هقدر أساعدك.

و أغلقت المكالمة دون إنذار، أمسك هادي بالهاتف في عصبية و أعاد الإتصال ليسمع الرسالة المسجلة بأن الهاتف مغلق، أعاد الإتصال و جسده يهتز من الغضب و أنفاسه ساخنة تكاد تحرق ما تلمسه ليسمع الرسالة مرة أخرى ليلقي بالنوكيا لحائط فيسقط مهشماً من شدة الغضب قبل أن يقفز هادي في ملابسه متجهاً إلى الكافية،

شعر بحركة و مهممات و شخص ما يتنفس بتهديج، تقلب في فراشه فوجد خيال ضخم على فراش صديقه المجاور، كاد أن يسأل لكنه سمع صوت صديقه يتأوه في ألم.. لم يتحرك و لم يبد ردة فعل، ظل يراقب الخيال و يسمع الأصوات و هو لا يفهم شيئاً من شدة الظلام، نهض الضخم و سحب في يده صديقه متجهين إلى درجات السلم، عند إقترابهم لمحمهم الصغير في الفراش، صديقه في يد سامح المشرف اللطيف، جلس الطفل على الفراش و برفق لمس الأرض بقدميه الحافيتين، الفكرة الأولى التي خطرت في باله أن سامح يعطي لصديقه الحلوى في السر، لكن لماذا؟ فضوله ساقه إلى أن يتبعهم، هبط درجات السلم إلى غرفة المخزن و فتح الباب برفق، لم يجد أحد، كاد أن يعود أدراجه قبل أن يسمع صرخة صديقه، صرخة مكتومة، تحرك على أثرها متبعاً مصدر الصرخة ليرى صديقه نصف عاري يجلس على قدم المشرف العاري أيضاً، إتسعت عيناه ذهولاً و تقززاً من المشرف و صديقه، الفكرة التي قفزت في رأسه أن صديقه يفعل ذلك من أجل الحلوى الإضافية و الألعاب ، راقب الفعل حتى إنتفض جسد الضخم فعاد بهدوء إلى الباب و خرج ثم جذب الباب خلفه برفق ليجد يد تجذب الباب من يده في الجهة المقابلة.

فودكا تجلس في منضدة متطرفة غير طاولتها المعتادة، ترتدي فستان بنفسجي قصير عاري الكتفين و قد بدلت مساحيق تجميلها السوداء إلى اللون الأحمر و درجاته، و نزعت عنها الكثير من الحلقات المعدنية التي كانت تخترق أنحاء جسدها ، كانت جميلة بحق، أرادت أن تفاجئ هادي و ترى هل سيعرفها وحده أم لا؟ رآته يدخل الكافية متعجلاً و يقف في منتصف الصالة يبحث بعينه ، أرادت أن تقف و تخبره أنها هنا لكنها تخلت عن هذه الفكرة حين تلاقى أعينهم لثانية و أشاح بوجهه باحثاً عن شخص أو شئ ما، تقدم إليه خالد مسرعاً و همس بشئ ما في أذنه ليتجه هادي إلى باب غرفة العاملين. تلفت حوله مطمئناً قبل أن يخرج مفتاح من جيبه و يفتح الباب و يعبره لتتوقف فودكا فجأة! تركت أشياءها على الطاولة و إتجهت إلى غرفة العاملين، لاحظها خالد من بعيد فهرول ليلحق بها لكنه لم يصل في الوقت المناسب، وقفت فودكا أمام الباب ممسكة بضلفته التي جذبتها لترى هادي يقف في الغرفة و في حضنه .. إيلين!

حين شعر بالباب ينجذب من يده إرتعد و تركه ليجد نفسه في مواجهة صديقه ، عين بعين، لاحظ أن صديقه يبكي و دموعه تنهمر قبل أن يتركه و يركض صاعداً، وقف ذاهلاً أمام الباب ليسمع سعال المشرف فركض لفراشه هو الآخر، سمع صوت صديقه في الفراش المجاور و هو ينتحب كاتماً صوته في الوسادة، ربط الأحداث و فهم ما يجري حين يسمع بكائه كل عدة أيام، شعر بالغضب يحرق صدره و بالأسف على صديقه و بكره نفسه الذي ظنت بصديقه الظنون، لم ينم تلك الليلة كذلك صديقه المجاور حتى أشرقت الشمس و إستيقظ الجميع، طوال اليوم حاول صديقه إجتنابه و كلما تلاقى نظراتهم أشاحوا بوجههم بعيداً، الأول و من الكسرة و الإحراج الذي يشعر بهم حين تأكد أن صديقه قد شاهد ما يحدث فيه، و الآخر أشاح بوجهه لأنه لا يعرف ماذا عليه أن يقول ، ظل الإثنين يتجنبون بعضهم طوال اليوم حتى ظهر سامح المشرف، يقف بشكله المقرز مبتسماً و الأطفال تتهافت عليه بينما هو يحمل أحدهم و يقبل الآخر و يضحك معهم و يمزحهم بينما يقف الصديقين كل

منهم في جهة ناظرين له نفس النظرة.

إتسعت عيني فودكا و هي ترى هادي يقف موالياً ظهره للباب و بيد يديه إيلين ، يحتضنها بنفس اليد التي تحضنها بها، و على وجه إيلين نظرة راحة و إطمئنان و هي تدفع نفسها بقوة إلى حضنه، تذكرت فودكا راحة هادي و كل لحظاتهم سوياً، أمسك خالد بيدها و سحبها فإنسحبت، قال خالد شيئاً ما لكنها لم تسمعه، عادت إلى طاولتها المعتادة في صمت و هدوء، تجلس شاردة ذاهلة و عينيها تلمع بدمعتان محبوستان تنتظر الفرار، تذكرت لمستها لها، طعم قبلته، شكله و هو نائم، صوته الذي تعشقه، برغم كل ما حدث بينهم و كل ما تغاضت عنه من أجله هو الآن في حضن أخرى!، هل لهذا رفضها مراراً؟ هو لم يخبرها أنه يحبها.. فهل ما فعله يعتبر خيانة؟ تذكرت حين حضرت له كوب النيسكافيه بالمارشميلو.. لم يتفاجئ و لم يتعجب من الفكرة كما فعلت، بل قال نفس الجملة التي تقولها إيلين، (دة دلع إضافي!) كيف كانت حمقاء و لم تنتبه لهذا حينها!

تقدم خالد و وضع أمامها كوب البابونج الخاص بها ثم عاد للطاولة التي كانت تجلس عليها و نقل حاجيتها إلى طاولتها المعتادة و هي غير منتبهة لكل ما يحدث، في عقلها جملة واحدة تتكرر (إنتي السبب، إنتي اللي سمحتي إن كل دة يحصل)

شعرت بيد تلمس كتفها فإنتبهت لتجده خالد، مسحت دموعها قبل أن تقول بصوت مازال يبيكي:

- إيه يا خالد؟
- أنا عايز أقولك إيه اللي حصل يا فودكا..
- مفيش حاجة حصلت و متحكليش حاجة، و إتفضل شوف شغلك مش هتصاحبني.

ربت على يدها قبل أن ينسحب في هدوء، نظرت للباب لتجده كما كان، إنهم في الداخل كل هذا الوقت، فتحت اللابوب الخاص بها و جرت يدها على الأزرار حتى تغيرت ملامح وجهها إلى التركيز الشديد قبل أن تنهض دفعة واحدة و تخطف أشياءها و تركض بفستانها و كحل عينيها سائلاً على وجنتيها.

تمت المشرفة صفاء على الأطفال في أسرّتهم ثم أطفأت الأنوار و ذهبت، نصف ساعة مرت قبل أن يتأكد الصديق بأن الجميع ذهب في سباته، لمس الأرض الباردة بقدميه الحافيتين و تمشى بهدوء حتى وصل للباب، تمشى في الطرقة و هبط الدرج حتى أصبح أمام غرفة المخزن، حاول فتح الباب فوجده موصداً، بكن تسرب لأذنه ضحكة أنثوية من الداخل، ضحكة ليست برنة! ركض على الدرج و أختبأ في ظلام الطرقة، ظل ساكناً لنصف ساعة حتى سمع الباب يفتح و يراهم! المشرف سامح مع إحدى المتطوعات! ما هذا العبث! تلك المتطوعة رقيقة حنونة يعشقها الأطفال و تعشقهم! شعر بغصة في قلبه و تصاعد الدم في رأسه و هو يرى كل من كان يثق بهم ينهارون واحداً تلو الآخر، ظل في مكانه حتى غادرت المتطوعة و عاد سامح بعد ان أغلق باب الدار، تمشى في الطرقة يندن إحدى الأغاني العتيقة قبل أن يذلف لمكتب المشرفين، تسلل على درجات السلم حتى وصل إلى الباب، دفعه فإنفتح، دخل و بحث عن مكان ليختبئ فيه دون أن يلاحظه أحد، ظل في مكانه منتظراً حتى غلبه النوم.

أمسك هادي بذراعي إيلين باعداً إياها عنه حين شعر أنها إطمئننت، جلس و أجلسها على المقعد العريض بالغرفة قائلاً:

- إنتي كويسة؟ فيه إيه؟

لم ترد، عيئت في شاشة هاتفها و عرضت عليه صورة من مجموعة صور إلتقطت لها أثناء نومها، صور تم إلتقاطها من داخل غرفة نومها ! ثم عدة صور لها في الشوارع المحاورة للكافيه، ثم صورة أخيرة لها تجلس في الجافيه، بنفس الملابس، على نفس الطاولة التي كانت تجلس بها صباحاً قبل أن يدخلها خالد إلى الغرفة، قال لها بضعة كلمات لتتهددنتها فقالت:

- لقيت حل؟

قال بتردد:

- لحد دلوقتي لأ، بس متقلقيش إنتي هنا في أمان.

عادت الدموع تتجمع في مقلتيها و هي تقول:

- في صورة كمان إنت مشوفتهاش؟

- صورة إيه؟

عبثت في هاتفها ثم ناولته له، الصورة على الشاشة كانت لهادي! جالساً في الكافيه على طاولة فودكا!

شعر بيد تدخل أسفل ملابسه و تعبت به، إنتفض مستيقظاً ليجد نفسه مازال في غرفة المخزن، إستوعب أنه كان يحلم لكنه تقزز و كره تلك اللحظة، ظل ساكناً و هو يرسم الخيالات في رأسه قبل أن يجد المشرف عبر الباب ساحباً صديقه الذي يبكي و يتلوى محاولاً الهرب حارصاً على ألا يخرج صوته، بالتأكيد سيلازم هو و تطرده ميس صفاء إلى الشارع لينام تحت الكوبري و يشم الكولاً و يذم المخرات ثم يأتي أحد تجار الأعضاء ليذبحه و يبيعه ، أوقفه الخنزير أمامه بعد أن جلس هو و بدأ خلع ملابسه، ثم أمسك ببنتال الصغير و بدأ في جذبه للأسفل، إنقض عليه الصديق بصرخة مدوية من الظلام ليرتبك الضخم و يشد بنطاله و باليد الأخرى يحاول كتم الفم الذي يصرخ ، ليخرج الآخر عن صمته الذي دام لأسابيع و يصرخ بكل ما فيه من قوة، ركض الخنزير إلى الباب يحاول أن يوصده ثم يجري على الطفل الأول يحاول كتم فمه الذي يصرخ ثم يحاول كتم فم الآخر، و هم يركضون في إتجاهات مختلفة مشتتينه قبل أن يسمعا صوت الطرقات على الباب و الأصوات المتسائلة المطمئنة، ظل الخنزير يحاول اللحاق بهم حتى تعثر و سقط على ركبتيه لكنه أمسك بقدم الصديق الضحية، ظل يصرخ الطفل محاولاً الإفلات من قبضته لكن الآخر هوى بمطرقة حديدية على رأس الخنزير لينترك صديقه و يضع يده على رأسه ألماً ، هوى الطفل بالمطرقة مرة أخرى ثم أخرى و الضخم يحاول النهوض على ركبتيه تم يستند على ذراعه لكنه بدأ يشعر بالدوار و فقد تركيزه و الطفل مازال يكيل له الضربات ليسقطسقط أرضاً، لا يقوى على التحرك، تقدم الطفل إليه في ثقة و رفع المطرقة بثبات و ضربه بها على رأسه مرة أخرى، رأي في عينيه نظرة إستجداء و طلب الرحمة فزاد حماسه و رفع المطرقة ، رأي نظرة الخوف في عينيه ليزداد حماسه و يرتفع الأدرنالين في دمه مما جعله يهوى بالمطرقة مرة أخرى لتهشم رأس الخنزير ناثرة الدماء في كل مكان، أختلطت رائحة الدم مع رائحة عطر الخنزير القتيل، عطر (فهرنهايت) مما نتج رائحة مميزة عشقها الطفل ذو التي شيرت الأخضر الذي يحمل حرف F ، بينما صديقه ذو التي شيرت الأصفر الذي يحمل صورة بطة نظر لبقعة الدم التي صبغت ملابسه و إتسعت عيناه في رعب، لينكسر الباب و يدخل المشرفين و تتعالى الصرخات.

الفصل الحادي عشر

إتسعت عين هادي و هو ينظر لصورته ! أيا كان من وراء هذا فهو يعلم أنه يملك الكافيه و أن الكافيه يملك حصانة تجعله مهما كان قوياً لا يقدر على إقتحام توباكو، هرع إلى غرفته لعد أن أمرها ألا تتحرك ، أمسك بالهاتف و طلب رقم يحفظه عن ظهر قلب، دقيقة و أجاب سايكو:

- خش عليا بالمصيبة.

حكى له هادي ما حدث بالتفصيل الممل ختم كلامه قائلاً:

- الناس دي تبعك؟
- متباقيش عيب و أمك عرفة ، أنت عارف إن لو انا كان زمانى خلصت، ثانياً إنت مزقوق عليك جامد و متركز معاك، إصحى يا هادي و ركز في اللي بتعمله عشان أنا مش فاضيلك لواحدك.
- طل و العمل؟
- خليك جوة الكافيه، الكافيه محدش يقدر يقربله و إنت عارف، متروحش أي حته يا هادي لا إنت ولا البت اللي معاك.. و أنا هتصرف و أقولك.

أغلق هادي المكالمه ليجد إيلين تقف خلفه مرتعشة، نظر لها بغضب و هو يسحبها للخارج قائلاً:

- أنا مش قولتلك متتحركيش من مكانك.
- خوفت مقدرتش..

و ألقى بنفسها بين أحضانه مغمضة عينيها، تشم رائحته الذكورية المختلطة بعطره المميز، يدها تلمس صدره لتطمئن لكنها شعرت بقلبه ينبض تحت أصابعها، رفعت رأسها لتواجه رأسه فشعرت بأنفاسه الساخنة على شفتيها، إقتربت منه و هي تحرك يدها من صدره إلى بطنه نزولاً ، أغمضت عينيها و مدت شفتها و هي تتنفس أنفاسه التي تقترب منها، كادت أن تتعانق الشفتان لكنه إبتفض و دفعها ، نظرت له غير مستوعبة و قالت:

- أنا أسفة أنا بس من التوتر و الخوف....

قال متفهماً:

- أنا اللي أسف ، بس أنا راجل متجوز و بحب مراتي .

تراجعت عدة خطوات و بدأ صوتها يختنق و هي تقول:

- و الله أنا.. معرفش أنا.. بس.. كنت.. أنا أسفة.
- مفيش حاجة و الله موقف و عدى.
- هنعمل إيه؟
- هنفضل هنا ، طول ما إحنا هنا إحنا في أمان.
- طب ما تقفل الكافيه؟
- لأ طبعاً، مبدأياً كدة لو الكافيه اتقفل يبقى هيشوا يجيونا من هنا ، ثانياً الكافي هدة متقفلش لحظة من يوم ما إفتح.
- أنا مش فاهمة الكافيه دة ليه أمان أوي كدة؟
- حاجة مش مهمة بالنسبالك.

سمع هادي رنين هاتف، إنتبه للنغمة ! تلك النغمة... كيف؟ هرع لغرفة مكتبه و إتقطت الهاتف ينظر من المتصل.. Private Number!

أجاب هادي المكالمة و وضع الهاتف على أذنه منتظراً صوت المتصل ليجد صوت أنثى يقول:

- هادي أخرج من عندك حالياً.

يعرف هذا الصوت جيداً لكن.....! مستحيل!

- مين معايا؟

- أنا فودكا يا هادي إخلص مش وقته..

إتسعت عينيه بلا فهم قائلاً:

- فودكا! إنتي عرفتي الرقم دة إزاي؟

- مش مهم، سيب اللي في إيدك و أخرج من الكافيه تعالالي حالياً، و سيب البت اللي معاك دي جوة متجيبهاش معاك.

لم يفهم ولم يستوعب ، ظل واقفاً بداخل المكتب عبيطاً لا يعرف أين يذهب، إيلين تقف في الخاؤج ناظرة له عبر الباب المنفرج، و فودكا تحدثه الآن ! على هذا الهاتف بالذات! من رقم خاص! الكثير من الأسئلة و علامات التعجب تنبت في رأسه ليوقظه صوت فودكا قائلة:

- هادي إخلص و أخرج من الكافيه حالياً و سيب البت دي عندك.

- ط... طب فهميني...

- علي هيقنالك يا هادي إخلص.

- علي.....!

نظر هادي لأيلين التي نظرت خلفها في رعب ثم أعادت بصرها إليه بغير فهم، قفزتين و أصبح أمامها، قال لها بإستعجال:

- إيلين خليكي هنا و إوعي تتحركي.

أمسكت في ذراعه و بدأت الدموع تتجمع في عينها فقال هادي و هو يمد خطواته:

- هنا محدش هيقدر يقربلك ، خليكي هنا و أنا هل الحوار و أجيلك.

تركها و خرج إلى الشارع مهرولاً و الهاتف على أذنه بين أعين كل من في الكافيه، توقف هادي في الشارع قائلاً:

- أجيلك فين يا فودكا.

- ... أنا في بيتك.

- !!

يجلس هادي الصغير بين دماءه أمام مكتب مديرة الدار، يسمعهم في كل ما يقولون لكنه الآن يشهر بالهدوء و الإستمتاع كلما تذكر نظرة المشرف تحت المطرقة، يسمع المديرة تتحدث بحزم مع المشرفين قائلة:

- لو بلغنا البوليس هنقول له إيه؟ مشرف بيعتدي بالأطفال! و في طفل من اللي إحنا مسئولين عنهم قتله! عارف إحنا كدة

بنقول إيه عن الدار و اللي شغالين فيه؟

- طب الحل إيه يا أستاذة منال؟

صمتت و عدلت من وضع نظارتها قبل أن تميل في مقعدها للأمام و تقول:

- اللي حصل دة مبطلعش برة اللي موجودين في المكتب، هننزل نتصرف في الجثة و الدم بشكل يمسخ أي أثر، و هنبلغ مرات سامح كمان يومين إنه مبيجيش بحجة إننا بنتظمن عليه.
- بس...
- مفيش بس، سامح اللي كل الأطفال بيحبوه طلع خنزير ، و غالباً بيستغل حب الأطفال ليه و لطفه معاهم، أنا لو أطول أقطعه بإيدي كنت عملت كدة.
- و العيلين؟
- نهجزلهم قعدات كتير مع الأخصائية عشان لو الموضوع أتر عليهم بشكل نفسي، غير كدة مش هنعمل حاجة، و هنحاول نبروزهم لأول ناس عايزة تتبني .

نظرت لهادي قائلة:

- هادي.. تحب يكونك بابا و ماما و تخرج من هنا؟

نظر لها هادي مبتسماً و هز رأسه في متعة بينما نظرت لسايكو الصغير قائلة:

- و إنت يا يوسف، تحب يكونك بابا و ماما و تخرج من هنا؟

نظر لها الطفل و هز رأسه نفيماً بين دموعه .

أدار هادي المفتاح في الباب بحذر ، دفع الباب و دلف بهدوء قبل أن يغلقه خلفه برفق، بحث بعينه عن فودكا فلم يجدها، مد يده أسفل الطاولة و سحب سكين كان قد أخفاها للطوارئ، و أي طواري أكثر مما يحدث الآن، تسرب على أطراف أصابعه إلى غرفة النوم، فتحها ليجد فودكا نائمة بظهرها على فراشه مقابل الباب ممسكة بالبورصه مع أهله في الطفولة.

- فودكا!

اعتدلت ناظرة له لتجده يقف بتحفز و في يده سكين صغيرة فضحكت قائلة:

- هو حقك.. بس كل عيش و سيب السكينة.
- أنا دلوقتي مش فاهم إنتي بتهزري ولا بتتكلمي جد!
- مش مهم، المهم نلحق الموقف و أنا هقعد أشرحك كل حاجة.
- موقف إيه؟

نهضت و إقتربت منه قائلة:

- علي باعت واحد من الدارك ويب عشان يخلص عليك، و إيلين كانت مجرد تشتيت ليك.
- يعني إيلين معاهم!
- لا يا هادي ركز، علي ربط الموضوع دة بدة لما إنت قولتله إنك عايز تساعدنا و عرف يوصل للي هينفذ، دفع مبلغ كبير مقابل إنك إنت تكون الهدف الأساسي مش إيلين، و اللي حصل بعد كدة إنهم إستغلوا خوفك و إهتمامك بموضوعها عشان إنت اللي تكون الضحية.
- إنتي عرفتي دة كله منين؟

- مش وقته قولتلك، أجهز عشان الراجل جاي...
- راجل مين؟
- اللي هيقتلك ..
- جاي فين!
- جاي هنا..
- إمتى؟
- دلوقتي..

أمسك رسغيها قائلاً:

- ثواني يا فودكا عشان كل دة كتير عليا، إشرحيلي الموضوع بالراحة.
- الراجل اللي علي مأجره عشان يقتلك، جاي هنا دلوقتي..
- إزاي؟
- هو ميعرفش إنك عارف فإنت سابقه بخطوة، إجهز بقى عشان لما بييجي ميغفلكش

يجلس الطفل هادي بجانب يوسف في الفناء بينما يلعب باقي الأطفال و يضحكون بصوت عالٍ، نادى المشرفة ثفاء على هادي فسمعها و لم يرد عمداً، نادته مجدداً فتجاهل ندائها تماماً، خرجت المشرفة من الباب إلى الفناء و توقفت خلف هادي قائلة:

- إنت مبتردش عليا ليه يا هادي و أنت سامعني؟

نظر هادي لها بجانب عينه ثم أشاح ببصره مجدداً، أمسكته من ذراعه جذبته برفق لينهض معها، نظرت في عينيه و إبتسمت بحنان و هي تقول:

- عارف مين جاي يزورك النهاردة؟

إتسعت عيناه فرحاً و هو يقول:

- ماما خديجة و بابا رأفت.

ضحكت المشرفة و إحتضنته قائلة:

- إنت بتحبهم يا هادي؟

هز هادي رأسه مؤكداً فقالت:

- طب تحب تروح تعيش معاها؟

إرتسمت بسمه على وجه هادي و هو يقول:

- أيوة.
- هتسمع الكلام و تبقى شطور؟
- هسمع الكلام و أبقي شطور.

إحتضنته صفاء مودعة قبل أن تمسك يده و تتمشى به في الطريقة المؤدية لمكتب المديرية، طرقت الباب و ما إن إنفتح و لمح هادي رأفت و زوجته يجلسون حتى ركض إلى حضن زوجته لتلتفقه الزوجة في أحضانها مرحبة و مشتاقة، بينما يجلس رأفت في الكرسي المقابل لها مبتسماً، و يجلس أحمد على مقعد بعيد نسبياً عن المكتب يراقب ما يحدث في سعادة بالرغم من أنه عريس جديد لم يفت على زواجه سوى إسبوع واحد!

يد ترتدي قفازات جلدية إختترقت المزلاج بأداة من قطعتين لتعقب به برفق و تركيز حتى إستدار المزلاج، بخطوات خافتة دخل ذلك الشبح الأسود، ملامحه غير عربية، دخل في ملابس سوداء إلى شقة هادي لسمع صوت المياه يأتي من الحمام، يبدو أن هادي يأخذ حماماً ساخناً تهدئة لأعصابه، إقترب من باب الحمام و طرق عدة طرقات و يده تتحسس السكين التي في جيبه، خرج صوت هادي من الحمام قائلاً:

- ثواني يا فودكا لسة مخلصتش.

تفاجئ بما سمع ، لم يكن يعرف أن هناك شخص آخر في الشقة، إرتبك و إلتف يبحث عن غرفة يختبئ بها، فتح أول باب قابله و دلف في الظلام، ظل ساكناً مكانه قبل أن يلاحظ تلك الرائحة، رائحة نفاذة يعلمها جيداً، إنها رائحة الفورمالين! أخرج المصباح اليدوي من جيبه و أضاءه مسلطاً نوره على التفاصيل! دماء! أسلحة! مواد كيميائية، بحث ضريباً على ضوء كشفه عن مفتاح الكهرباء، ما إن ضغط عليه حتى أضيئت الغرفة كاشفة عن التفاصيل.. منضدة تحمل سكاكين تشريح و تقطيع و فصل بجميع الأشكال و الأحجام بجانب كل ما يصلح لقتل كائن حي من منشار يدوي و ساطور و منشار آلي دوار و مقص أعشاب و مقص حداد و أدوات كل الصناعات التي تصلح للتقطيع، و حائط يحمل صوراً لأجساد مقطعة و لحوماً آدمية ممزقة بوحشية، و منضدة صغيرة تحمل زجاجات بداخلها سوائل كيميائية عديدة ، و علب متنوعة من أدوية التخدير و المحاقن، تفصيلة واحدة كانت مختلفة، تلك الفتاة الملقاه على الأرض وسط بركة كبيرة من الدماء ساكنة تماماً ، حين دقق الرجل في التفصيل وجد أن الدماء إنهمرت من رقبتها بعد أن تم ذبحها! إقترب منها يحاول التأكد من موتها.. ساكنة تماماً، مد يده يتحسس نبضها ليفزع حين مدت يدها ممسكة بيده ناظرة لعينييه، من هول المفاجأة نهض مفزوعاً ليجد يد هادي من خلفه تخترق رقبتها بمحقن يحمل سائلاً أزرق، إلتف و نظر لهادي قبل أن يسقط أرضاً فاقد الوعي، مد هادي يده لفودكا فتحاملت عليها لتنهض قبل أن يقول:

- أدينا حلينا حوار الراجلة ممكن بقى نقعد و تفهميني؟

- كل اللي هقدر أقولهولك دلوقتي إني هاكلر، نحل موضوع الجحش دة و نقعد نتكلم.

نظر لها نظرة خاوية بعد أن أصبح لا يفاجئه شئ فقالت:

- إخلص يا عم المخضوض .

ليقول بلامبالاة ناظراً للجسد الملقى أرضاً:

- أنا مش هعمل أي حاجة إلا لما أفهم.

زفرت في نفاذ صبر ثم قالت:

- طب أنا هفهمك الموضوع في العام و لما نخلص من كل حاجة هحكلك بالتفصيل.

-

- بص، سكة كدة علي مغفك كل دة ، هو عامل موقع ريد روم من يوم ما عرفك إسمه Red Bunny Rooms و بيستخدمك في قفل مواقع المنافسين و إثبات جدارة للأرنب عشان اللي يخاف من الموقع دة يروح للموقع الجامد اللي معلم عالبقي.

قال لها في ذهول:

- إيه؟
- مستغرب؟ لأ أفاجئك.. كل الفيديوها اللي عملتها في الريد رومز و الناس اللي إنت قتلتها كان بيعرضها لايف على الموقع بتاعه هو..
- يا ابن المتن..
- هنروحله و نصفي بس نخلص من جحش اللي ممكن يفوق في أي لحظة دة.

نظر لها بإستخفاف قبل أن ينحني عليه و يلطم وجهه ثم ينظر لها قائلاً:

- عيب الكلام دة يا فودكا.

لطمه على خده الآخر ثم الآخر قبل أن ينحني على أذنه و يقضمها جاذباً إياها و ضاغطاً عليها حتى ظهرت الدماء لتلطخ فم هادي و أسنانه، نهض و وقف في مواجهة فودكا قائلاً:

- عيب عليك يا شبح متصغرناش.

فودكا نظرت لوجهه و شفتيه و الدماء تصبغهما و عضت على شفتيها قائلة:

- يخربيت كدة يا هادي.

قبل أن تنتبه و تتمالك نفسها، تحنحت قائلة:

- هتعمل إيه؟

لم يرد هادي، إنحنى ليمسك بذراعي الملقى أرضاً جاذباً إياه قبل أن تنبت فكرة في عقله جعلته يترك ذراعيه و يلتف لفودكا قائلاً:

- إنتي تعرفي تدخل علي الموقع بتاع علي اللي عالدارك ويب؟

خرج علي من دورة المياة عاري الجزع يحك بطنه، فتح الثلاجة المهملة و نظر لما بداخلها، لم يغريه شيئاً، صفع بابها و عبر من فوق الكراكيب و المهملات التي تجثو في كل مكان حتى وصل لمكتب عريض يحمل الكثير من الشاشات التي تعرض أشرطة مراقبة و برامج و أكواد، عبث بيديه على لوحة المفاتيح قبل أن يجد إشعار جديد من موقع Red Bunny Rooms، إرتفع حاجبه و هو يفتح نافذة الإشعار على بث مباشر ، من إحدى الغرف الحمراء! على موقعه الخاص! الرجل الذي أرسله لقتل هادي ملقى على طاولة معدنية تتوسط الغرفة، و منضدة صغيرة تحمل سكاكين و أسلحة و كل ما يصلح للتعذيب و التهشيم و التقطيع، ثم يدخل إلى نطاق الكاميرا شخص يرتدي بدلة و قناع أرنب، يتحرك ببطء ناظراً للجسد الساكن أمامه، إتسعت عيني علي غير مصدقاً ما يراه عقله يعجز عن فهم ما يحدث، تحرك الأرنب إلى المنضدة و سحب سكين كبيرة و إتجه ببطء إلى الرجل، المرة الأولى يقف الأرنب في مواجهة الكاميرا بجسده و هو يقتل.. رفع الأرنب يده في الهواء و أعصاب علي تنهار، حرك الأرنب أصابعه على مقبض السكين قبل أن ينظر لعللي! نظر لعللي في عينيه .. هذا ما شعر به علي حين رآه ينظر للكاميرا بتحدٍ، رفع الأرنب جسده على أطراف أصابعه و تشنجت ملامحه و هو يهبط بالنصل لكن

إخترقت الشاشة فتاة ذات شعرٍ أحمر، ترتدي فستان أحمر عاري الظهر، أمسكت بيد الأرنب قبل أن يدفن سكينه في صدر الأسود، قبل أن تسحب السكينة من يده و ترفعها هي في الهواء، إلتفت للكاميرا و هزت رأسها يمينا و يساراً بهدوء، قفز قلب علي في صدره و نه مسقطاً المقعد على الأرض حين رأي لي لي التي وضعت يدها اليسرى على بطن الأسود، و سحبت يدها اليمنى للخلف موجهة النصل إلى جانب الرجل الأيسر، كان ذلك قبل أن يخترق شخص ثالث نطاق الكاميرا و يلحق بيدها، إنه هادي! هادي بهيئته العادية! بدون قناع أو شعر مستعار! علي يحرك عينه بين الثلاثة الذين يقفون أمامه في بث حي غير قابل للتعديل البصري، ظل يحرك عينه بين هادي و لي لي و الأرنب و هو يكاد يفقد عقله، مد هادي يده إلى لي لي لتناول السكين، إلتف هادي هول الطاولة ليواجه الكاميرا و على وجهه نظرة زفر و إنتصار، نظرة بألف كلمة، نظرة عميقة بتجسد فيها الشر المطلق، قبل أن يرفع يده بالسكين و يقف على أطراف أصابعه شاداً جسده بالكامل، قبل أن يغمض عينيه في إستمتاع و يشم شيئاً ما لم يفهمه علي من خلف الشاشة قبل أن يهوى بالسكين بعنف في صدر الرجل الذي كان من المفترض أن يقتله هو، لتنفجر الدماء ملطخة ملابس الثلاثة الذين إلتفوا للكاميرا و أخذوا يقتربوا منها ببطء و بحركة رتيبة قبل أن يمد الأرنب يده إلى الكاميرا و ينزعها ليظهر شعار بوجه الجوكر يضحك بسخرية، كان ذلك قبل أن تنقطع الكهرباء في شقة علي، قفز قلبه خلف ضلوعه و إقشعر جسده بالكامل، ضريراً تحسس مكتبه، لوحة مفاتيحه، صدم كوب مهمل على المكتب ليسقط منكسراً و يصدر دويّاً عالي جعل علي ينتفض، تحسس المكتب حتى فتح أحد الأدراج و سحب مسدساً، على طريقة برايل وضع خزنة الرصاص بمكانها شاداً للأجزاء قبل أن يقف متحفزاً ماداً يده أمام صدره بالمسدس جاهزاً ليطلق النار على أول صوت يسمعه أو طيف يعبر من أمامه، بدأ نفسه يعلو و قلبه يركض في صدره يهزه هزاً، بدأ العرق يكسو جسده هو يشعر بشئ ما يقترب، صاح في ظلام و صمت الشقة قائلاً:

- مين؟؟ مين؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

سمع صوت شئ ما يسقط في إحدى الغرف ليصرخ بهستيريا:

- ميبيبيبيبين؟؟؟؟؟؟؟؟

تسرب إلى أذنه صوت أغنية cool hearted Women للمغني Chis Bell تتصاعد من مكان ما بالغرفة، ضريراً أطلق النار على المكان الذي يخرج الصوت منه، إقتحم أنفه رائحة البارود قبل أن يهاجم أنفه عطر فخرنهايت! في تلك اللحظة هبط على ليختبئ أسفل مكتبه و هو ينهج و يصيب عرقاً، ظل هكذا لربع ساعة كاملة مرت عليه طويلة ثقيلة، كاد أن يتوقف قلبه من الإنتظار و الرعب، قبل أن تعود الكهرباء و يعود بصره في عينيه، ظل ثوان مغمضاً عينيه التي أمته حين هاجمها الضوء فجأة، كان ذلك قبل أن يشعر بنفسه يسقط في بئر عميبيبيق...

رائحة قوية و نفاذة إخترقت صدره كاتمة الأنفاس ليسعل علي بقوة إستجداءاً للهواء، فتح عينه عنوة مع السعال فلمح مروحة سقف فوق رأسه تنن ببطء، حاول تحريك يديه فأبیت تحت وطأة إحساس الخدر الذي مازالت بقاياه في أطرافه، حاول الكلام فوجد فمه صحراء جافة تشقق أرها، بلل شفثيه بلسانه محاولاً بث الحياة فيهم، قال شيئاً ما فتعثرت الحروف عند حلقه قبل أن تسقط مرة أخرى في جوفه، الرؤية مشوشة قليلاً و سقف الغرفة يدور به مع المروحة، شهق طلباً للأكسجين فغمر أنفه رائحة الفخرنهايت، حاول إستراق السمع لكن تلك الصافرة البعيدة التي فيهم تمنع عنه صوت ما يدور في الغرفة، إشتد تادوار عليه فأغمض عينيه بشدة مستجمعاً آخر ما حدث.. حين تذكر بالتفصيل إرتسمت نصف إبتسامة على وجهه قبل أن يفتح عينه ناظراً للسقف، خرج صوته متحشرجاً و هو يقول:

- برالافو يا هادي، برالافو، تعرف أنا لو إيدي كانت سايبية كنت سقفتلك.

أتى صوت هادي من مكان ما بالغرفة قائلاً:

- لا هو لو حد محتاج سقفة فعلاً فيبقى إنت يا علي.. ولا أقولك يا عليوة.

ضحك علي ضحكة عالية قائلاً:

- كمااان، إنا منبهر.

إبتلع ريقه بصعوبة قبل أن يقول بطريقة مسرحية:

- حين ينقلب السحر على الساحر، دة شغل أفلام دة يا هادي.

- مبسوط و إنت هنا؟

- مبسوط بيك يا ابن اللعبة..

إرتعش صوته للحظة لاحظها هادي:

- دة أنت طلعت عفريبييت يا هادي.

نهض هادي من مقعده بثقة قائلاً:

- إنت فاكرك لما تديني إحساس الثقة و إنك مش خايف مش هحس بالمتعة أتطفي؟

إقترب منه و همس في أذنه قائلاً:

- حذر فزر يا عليوة، ثقتك دي بتحطني في وضع التحدي، يعني بتحمسني أكثر.

ظهر الرعب على وجه علي ليكمل هادي:

- لكن أنا هديلك Option مديتهوش لحد قبل كدة.. عايز تموت إزاي؟

- أي حاجة على مزاجك لأخوك، خلي بالك لو الخدمة عجبتني هبقى زبونك.

ضحك هادي قائلاً:

- طب تاخذ المفاجئة؟

- هات

أمسك هادي رأسه و لفها إلى الجهة الأخرى ليرى هادي شاشة تحمل عدأ تنازلياً فوقها كاميرا بث مباشر، إرتسمت معالم الهلع على وجه علي قائلاً:

- إنت هتعمل إيه؟

5

4

3

قال هادي:

- مبروك يا علي، إنت مباشر على الموقع بتاعك و هيتنفذ فيك كل طلبات الأعضاء.

2

- في سبع مراحل مش خمسة .

ظهر على الشاشة جملة (بداية المرحلة الأولى) لتبدأ الطلبات تظهر على الشاشة واحداً تلو الآخر.

الفصل الأخير

كافيه توباكو، أحد أرقى كافيهات مدينة نصر.. عملائه الدائمين هم صفوة الشباب.. يتميز بأنه على الطراز القديم.. فلا يوجد به أي مظهر من مظاهر التكنولوجيا.. ديكواراته راقية و ألوانه مبهجة ... لا يوجد به شاشات عرض للمباريات الهامة.. لا يوجد به ماكينات تصنع القهوة و المشروبات.. لا يوجد به كاميرات مراقبة.. لا يوجد به نظام صوتي متطور.. لا يوجد به غير المقاعد و الطاولات الجميلة و الديكورات الرائعة .. كل المشروبات فيه تصنع يدوياً... تستطيع ان تقول انه مصمم لاجبار رواده على التواصل البشري الحقيقي...يمكن لأي احد من رواده استخدام معداتهم التكنولوجية بحرية.. كالهواتف و سماعات الراس و الحواسيب المحمولة .. لكن المكان لا يعتمد عليها في أي شيء..

تقدم خالد النادل ليضع كوب البابونج أمام فودكا ، و فنجان القهوة أمام هادي، ثم توجه لطاولة أخرى و وضع كوب النيسكافيه أمام إيلين لتضع فيه قطع المارشملو، ليعود بعد ذلك و يقف بجانب الباريسا متأهباً لمن يطلب ، على طاولة فودكا إرتشف هادي رشفتين من القهوة قبل أن تقفل فودكا كاسرة للصمت:

- قولي بقي إنت مين؟

نظر لها بسخرية قائلاً:

- خُط الصعيد.

ابتسمت على مزحته قبل أن تقول بجدية:

- لا بجد، إيه الفرق بين هادي بتاعي و هادي بتاعك؟
- هو نفس الشخص، الفرق الوحيد بينهم إنتي عرفتيه لواحدك.
- خمسة عليا.

ضحك هادي بصوت عالٍ قبل أن يتمالك نفسه و ينظر لها ببسمة جادة قائلاً::

- قوليلي بقي، إنتي مين؟
- أنا ريا و سكيئة.

لم يبتسم هادي، ظل ناظراً لها بنظرة جادة دون أن ينطق لتقول:

- أصل القصة كليشييه أوي...

ابتلعت البابونج الساخن دفعة واحدة قبل أن تضع الكوب فارغاً أمامها و تزفر بقوة قائلة:

- أنا إتولدت و عشت في إسكندرية، و إتخرجت من Computer since ، كنت الأولى عالدفعة الأربع سنين، ده اللي خلاني أشتغل في شركة كبيرة و أنا سني صغير، في يوم وقع تحت إيدي ملفات تودي في داهية، ملفات عن بلاوي الشركة دي بتعملها عالدرك ويب، و عشان كنت صغيرة و مش فاهمة حاولت أشغل دماغي عليهم ، و روجت لصاحب الشركة أهده باللي وقع في إيدي..
- طبعاً حاول يقتلك..
- بالعكس، حاول يرسم الهدوء و حذرني إن الموضوع أكبر مني لأنه أكبر منه هو شخصياً، لكن أنا مرتجعتش.. بعدها بأسبوع الراحل عمل حادثة و مات، و بدأ يجيلي تهديدات بالقتل و فعلاً بقي يحصل معايا حاجات بغرض إثبات إنهم قريبين ليا و ممكن يطولوني في أي وقت..
- و برضه مرجعتيش ..

- فعلاً، لكن لما بدأ الموضوع يوصل لأهلي و ألاقى إنهم هما اللي بيحصل معاهم كدة و بيقرّبوا من الموت كل يوم خفت عليهم، لحد ما أخويا في يوم راجع من الجامعة و عمل حادثة، الميكروباص كله إنتقلب بيه و دخل المستشفى، الحمد لله إنه عايش ، و جالي رسالة إن اللي عمل كدة هما و إن دي مجرد قرصة و دن.. ياعتها أنا قررت أموت، موتني في كل الأوراق الرسمية و عملت لنفسى شخصية و إسم جديد، و نقلت هنا عشان محدش يطولني.. دخلت الدارك ويب عشان أقلب عيشي بس بعيد عن أي حاجة بتأذي حد طبعاً.. في يوم قابلت شاب و قربت منه و لما وثقت فيه حكيتله شوية حاجات بسيطة عني و عن أهلي، و كان الناتج إنه راح يطلبني للجواز منهم في إسكندرية، على أساس غنه بيعملي مفاجأة و كدة.. ميعرفش إنه إتسبب في كارثة، من ساعتها و أنا مبقرّبش من حد و مبتفش في حد..
- بس وثقتي فيا..
- تعرف إنك أكثر واحد كان قالفني و مخوفني! لما بروح مكان و أرتاح فيه و أبدأ أكون موجودة فيه كثير ببدأ أركب تلفونات كل الناس اللي بتتردد عليه و اللي شغالين فيه عشان محدش فيهم يكون شبح من الماضي؟ و طبعاً توباكو مكان مثالي، مفهوش تكنولوجيا و أغلب اللي قاعدين فيه مبيستخدموهاش طول القاعدة، فأنا ببقى مسيطرة دايماً، راقبة تلفونات أي حد بيعدي من الباب من غير ما حد يحس ولا ياخذ باله..
- و طبعاً لقيتيني باجي كثير و لقيتني إنني مش معايا تلفون..
- أنا ملقيتكش إنت شخصياً، في الأول إستغربت أزاي واحد زيك ماشي من غير تلفون ، جيه في دماغي إن المكان كدة كدة مفهوش تكنولوجيا فإنت بتيجي تريخ دماغك خالص منها، فإتعرفت عليك و لقيت إنك ملكش في السوشيال ميديا خالص بكل أنواعها ، و غالباً مبتستخدمش نت أصلاً، دي حاجة طمنتني شوية.. بدأت أتعامل عادي لحد ما بدأ يظهر شعور غريب، عرفت إنك ممكن تكون Expiation من الناس.. دة اللي ودانا لشقتي، كان خلاص الإعجاب زاد لدرجة تخوف، لكن كنت مطمئنة و أنا في حضنك.. في مرة و 'حنا قاعدين لمحتك متابع حد بعينك لحد ما خرج مالكافيه، لما دورت وراه عرفت إنه واحد من الريد رومز ..ساعتها شكيت.. قولت لازم أكشفك عالأقل عشان أخذ حقي في إنني وثقت فيك، لما إديتني الفيزا اللي هي كانت وسيلة أعرف بيها إنت مين ، وصلنتي للدارك ويب .. و ثاني موصلنتنيش ليك إنت .. فالموضوع بقى تحدي.. قولتلك حظيت عليها فلوس و فتحت حوار الدارك ويب عشان تمشي ورايا.. تدور عليا.. و لما تدور عليا أنا اللي هلاقيك.. و برضه ملقيتكش، بس لقيت علي..
- و علي و صلاك ليا..
- أنا فضلت أدور ورا علي كثير أصلاً لحد ما لقيت ثغرة صغيرة فشخ وصلنتي لكل حاجة، بس كان الوقت عدى و كنت خلاص حبيبتك يا هادي، قعدت كام يوم على ما إستوعبت إنت بتعمل إيه و بتعمله ليه.. و لقيت إنني مستعدة أتغاضي عن كل دة عشان أبقى معاك.. أنا كمان ليا بلاوي بتحصل غصب عني.. بس و الباقي إنت عارفه..

ظل هادي مستمعاً لها بإنصات، ناظراً في عينيها مبتسماً قبل أن يقول:

- دة إنتي طلعتي مصيبة!
- طلعت قادرة.. مش عشان كل دة، عشان عرفت أوقعك في حبي.

ضحك هادي قائلاً:

- بس أنا موقعتش ولا حاجة.
- باين فشخ في عينيك، لو سألت أي حد معدي هيقولك فودكا..

تبدلت ملامحه مرة أخرى سائلاً:

- مقولتيليش صح، إسمك الحقيقي إيه؟

عبت وجهها و عادت بظهرها في المقعد قائلة:

- اللي يهكم فودكا يا هادي، ملكش دعوة بإسم بيفكرني بفترة مجبهاش.
عادت إبتسامته قائلاً:

- طب فودكا كام في المية؟

ضحكت بسخف ناظرة له و هي تقول:

- لالا لا إنت تتخلي عن روح الكوميديا اللي فيك عشان العسل شاحج.

ضحك بصوت عالي قبل أن يقول:

- يعني لما قولتيلي إنك ليكي في الدارك ويب و تور و بصلة و بتاع كان تضليل؟
- لما أقولك الحقيقة في وشك بطريقة ساذجة هتقتنع إنني بكذب حتى لو حلفتلك.
- و لما قولتيلي أنا بحب..

قاطعته:

- متخلينيش أرد عليك رد يزعلك، إنت عارف أنا اللي قاهرني إيه؟
- إيه؟
- الفستان و الميك أب و شكلي اللي غيرته و روح لقيت الهانم في حضنك..

إرتفع حاجبي هادي قائلاً:

- إيه ده؟ إمتى ده!
- ااااا، ده مكانش الحزن الأول بقى1
- أقسم بالله الأول و الأخير ده حتى كان..

بتر عبارته قبل أن ينادي على إيلين:

- إيلين يا إيلين..

إنتفضت فودكا قائلة:

- إنت بتعمل إيه؟

بينما إنتبهت إيلين قائلة:

- أيوة ؟

أشار هادي لفودكا أن تنتظر قبل أن يقول لإيلين:

- تعالي هنا ثواني لو سمحتي.

نهضت إيلين و إنتقلت لطاوتهم فقال هادي:

- فاكدة مراتي اللي قولتلك عليها ؟
- أيوة

إتسعت أعين فودكا قائلة:

- مراتك!

أراح ظهره على المقعد و هو يشير إلى فودكا قائلاً:

- أقدملك يا إيلين.. فودكا، مراتي...

فودكا متفاجئة تنظر لهادي الذي يبتسم في ثقة بينما قالت إيلين:

- إيه دة هي فودكا طلعت مراتك....

نهضت إيلين و إحتضنت فودكا قائلة:

- دة نهار أبيض دة، بصراحة جوزك وقف معايا وقفة عمري ما هنساها.

قالت فودكا و هي تلتقط كف هادي في يدها :

- لأ يا حبيبتي جوزي جيه قالي و أنا اللي ساعدتك، لولاي كان زمانك خبر عالفيسبوك

قال هادي ضاحكاً :

- يخربتك، مبنقولش كدة.

نظرت فودكا له قائلة:

- بنقول عادي.

شكرتها إيلين و جلسوا يتمازحون و يتضاحكون، حكّت لها إيلين الموقف لتوضح لها الصورة كاملة، لكن من بعيد شخص يقف مراقباً كل ما يحدث، شخص بجانب البار يرتدي الزي الرسمي لعمال الكافيه ، رفع خالد الهاتف على أذنه و قال هامساً:

- أيوة يا سليم، التلاتة قدامي أهم، هادي و إيلين و مريم.

تمت

تنويه.. هادي و سايكو و فودكا لم يكتفوا من تلك الرحلة معك...
هم قادمون مجدداً

لكن هذا إصدار آخر

إهداء آخر:

.....